

ندوة التعريب أيجابياتها وسلباتها

بمقام: خالد سعود الزيد

والتلفزيونية . وبعد الاستراحة استقل كل وفد مع مرافقه الليبي سيارة ، وقد خصصت أكثر من سيارة لكل وفد .

تبعد مدينة طرابلس عن المطار مسافة تقدر بعشرين كيلو مترا ، غير أن الطريق لم يكن مملا ، فأشجار الزيتون والبرتقال والأعشاب الخضراء تبعث في النفس البهجة ، وكان البرتقال الذي يحكي لونه صفرة الشمس في غروبها يحيي الزائرين مرحبا . لقد انتشر الناس على جانبي الطريق تحت ظلال الأشجار يهرجون وهم يقضون يوم اجازتهم مع أطفالهم بيشر ملحوظ .

يوم جمعة والبنّاؤون يعملون في بنايات داخل الصحراء لا حصر لها ، وسيلنا ، فقال مرافقنا : انها مساكن للشعب ، فطرابلس ورشة بناء كما سترون ، لقد جاءت الثورة وقلة من الناس يسكنون بيوتا من طين . فطرابلس لم تبد لها يد التعمير منذ عشرات السنين . ومفعلا لقد صدق مرافقنا .

دخلنا مدينة طرابلس الساعة الرابعة والنصف مساء واستقبل سيمعا صوت المؤذن ينادي لصلاة العصر . وتلقطنا سحابة سوداء تنسكب بغزارة ، بيد أن المياه لا تجد لها مصرا فتحول اليه ، فتشكلت البحيرات الصغيرة والمستنقعات . ولكنك اينها وجهت نظرك رايث بناء ينام وبنائين يعملون دون كل .

وقدت السيارات عند باب فندق الشاطيء المقام حديثا على ساحل البحر المتوسط في أقصى الشمال الغربي من مدينة طرابلس . ونزلنا وفي استقبالنا العديد من المهتمين بشؤون الثقافة ، ولقد أعدت غرفة لكل فرد .

ليس الطريق من الكويت الى طرابلس ليبيبا مباشرا ، لا بد من التوقف ساعة في مطار بيروت ثم تعقبه الرحلة الى بنغازي العاصمة الثانية للجمهورية العربية الليبية . وشاعت الظروف ان يلتقي اعضاء الوفود القادمون من العراق وسوريا والأردن والكويت مع وفد لبنان في مطار بيروت ، ليستقل الجميع الطائرة الليبية المغادرة الى بنغازي في الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الموافق ١٩٧٥-١-٢٤ .

حطت الطائرة بعد ساعتين في مطار بنغازي ، وهو مطار قديم ، لا اثر للتجديد فيه ، وأحال ان شينا لم يصف اليه منذ تصمييمه الأول .

نزلنا من الطائرة ، ووقفنا صفا ينتظر كل منا دوره لخم جواز سفره ، غير أنهم احتفظوا بها ، ولم تسلم الا عند المغادرة . وعجبنا حين علمنا أن تفتيش حقايقنا يتم هنا وليس في طرابلس . وهذا يعني ان حقايقنا ستزول معنا مرتين في المجيء الى ليبيا ومرتين في المغادرة منها . ولقد فتشت الحقايق تفقيشا دقيقا ، وقلبت كل ورقة فيها بحثا عن جريدة أو كتاب ممنوع . فالتوراة الثقافية على أشدها . وسارت الامور في مجرى بالغ التعقيد .

لم يكن في استقبال الوفود احد . ولا أحد في مطار بنغازي يعلم عن ندوة التعريب شيئا . وبعد انتظار مرهق غادرت الطائرة الى طرابلس ، ووصلناها بعد ساعة وربع الساعة ، وكان في استقبال الوفود جبهة من رجال الصحافة الليبية . وتعاقد الجميع عناقا حارا ووديا . والتقطت للوفود الصور التذكارية

ترشيح كبار الاساتذة المختصين بالموضوع وتكليفهم باعداد بحث محدد ، ثم الاتصال بالهيئات والمؤسسات الثقافية والجامعات والجمعيات اللغوية لترشيح من تراه كفؤاً لمناقشة قضايا التعريب ، كما وجهت الدعوة للصحف الثقافية المتخصصة لمتابعة اعمال الندوة ، وكذلك فقد دعي بعض النقاد العرب للمشاركة .

يوم الجمعة وصلت غابية الوند ، وفي الساعة السادسة والنصف من مساء يوم السبت الموافق ٢٥-١-١٩٧٥ افتتحت ندوة التعريب في قاعة الاحتفالات في فندق الشاطيء الذي تقطن فيه الوفود ، وحضر الافتتاح الاستاذ محمد الزوي وزير الدولة والاستاذ الدكتور علي فهمي خشيم وزير الثقافة والاعلام بدولة اتحاد الجمهوريات العربية . وحضرها عدد كبير من المهتمين بالثقافة والفكر وبعض اعضاء السلك الدبلوماسي . وتحدث في البداية وزير الدولة فرحب بالحضور وتكلم عن اهمية التعريب تأكيداً للاستقلال والسيادة . ويعددهم القى الدكتور خشيم وزير الدولة الاتحادي كلمة قال فيها : ان هذه الندوة تمثل في الواقع تأكيداً للرابطة الوثيقة ، والوحدة بين اقطار الوطن العربي ، ودعا في ختام كلمته الى توحيد مجامع اللغة العربية ، واكد على اهمية التعريب في الكليات الجامعية . ثم القى الاستاذ محمد سعيد الشفاط رئيس تحرير مجلة الوحدة العربية كلمة المؤسسة العالمة للصحافة ثم التفت بعد ذلك كلمة المكتب العربي الدائم للموسيقى والتعريب والرباط . وفي نهاية الندوة حضر الضيوف حفل الشاي الذي اقيم تكريماً لهم .

واستأنفت ندوة التعريب في الساعة العاشرة من صباح يوم الاحد عقد جلساتها بقاعة الاجتماعات بفندق الشاطيء حيث القى اول الحاضرين في الندوة الاستاذ صبحي الصالح بحثاً عن « العربية والتعريب » ثم اعقبه تعقيب للناقد رجاء النعاش وبعد ذلك دارت مناقشة البحث . والمناقشات تجري عادة بعد الغاء البحث مباشرة وقد تابعت الندوة عقد جلساتها في المساء ثم غادرت الوفود قاعة المناقشات في الساعة التاسعة الى فندق قصر ليبيا حيث اقام الدكتور محمد احمد الشريف وزير التعليم والتربية حفل عشاء تكريماً للمشاركين في ندوة التعريب

واستمرت اعمال الندوة ثمانية ايام ناقشت خلالها ابحاثاً عديدة تناولت التعريب من كل جوانبه فبعد ان اثير في الجلسة الاولى سؤال : لماذا التعريب ؟! تلاه في اليوم التالي نقاش حول قدرة اللغة العربية على الاستيعاب والعطاء والتكيف بحوث فيها يعهد تتعلق بالتعريب من حيث الدلالة التاريخية ومؤسست التعريب ومنجزاتها ، وخصص يوم الخميس لمناقشة التجربة الجزائرية كتجربة حية من تجارب هذا العصر

ما كدنا نضع حقائبنا حتى افتتحت مع بعض الاخوة للقيام بجولة سريعة في شوارع المدينة . كانت الشمس تنزع الغروب ، والغروب يعني الهدوء ، فلا جد في الشوارع يسير . ولا تسمع صوتاً غير عواء الكلاب التي لا يخلو بيت منها . في المنطقة التي نسكنها ، عناوين المنازل جيبها مكتوبة بالحرف اللاتيني ، غير انها كسحت بعنف ، ولم يبق منها غير اثر يدل على انها كانت موجودة فعلاً في يوم ما وانها كانت محفورة حفراً على هذه اللوحات وانها قد ازيلت الى غير رجعة واستبدلت بحرف عربي مبين ، ليس على المحلات والمعارض غير الحرف العربي ، وهنا نقطة لم اشر اليها في بداية الحديث وذلك ان الطائرات الليبية ليس فيها محل للجراند والمجلات الاجنبية ، وان جاري الاجنبي في المقعد على الطائرة استعان بي لاء الاوراق الخاصة بالعملة والمعلومات عن الزائر .

هذه هي ليبيا الدولة التي نادت ولا تزال تنادي بالتعريب بصلاية ، ولكم امعجني تصرفها هذا . فكل دعوة لا تنطبق من الذات وتبدأ بها دعوة عاجرة . فالذين يتحدثون عن التعريب ويرتسمون احاديثهم بعبارات اجنبية ليسوا دعابة تعريب بل هم دعابة تخريب . وكل مناد بوحدة والوحدة لم يتم على بسيطة ذاته فانه لن يشهد الوحدة ابداً ، ولن يحققها الاطلاق .

لن تقوم وحدة ما لم تقم ذات الانسان الفرد اولاً ثم في ذات الانسان الاسرة ثم عروجا من اقرب الناس اليك الى ما لا نهاية والى ان ترى الوجود كله واحداً في واحد تجميعاً .

والتعريب ليس مقصراً على ترجمة مادة او استبدال لفظ دخيل بلفظ اصلي . لقد أصبحت للتعريب تاثيرات اخرى ، وامتدادات ذات اثر بالغ في حياة الشعوب فهو قضية حضارية تمس حياتنا بشكل مباشر وصميمي .

ولعل المغرب العربي اكثر تحسناً منا لهذه القضية . فالتعريب بالنسبة له قضية وجود اولا وجود فلفظ عانى من تسلط الاستعمار عليه ففكرنا وثقافتنا ولغة وارضا ، أما الشرق العربي فلم يعان من هذه المشكلة الا من بعض نواحيها ، وليبيا هي واسطة العقد ما بين مشرق عربي ومغرب عربي ، ادركت ضرورة الدعوة الى هذه الندوة حينها ولدت فكرتها في اجتماع الهيئة الاستشارية لمجلة الثقافة العربية وهي تناقش عدة قضايا فكرية لتقوم المجلة بتبنيها ، فوقع اختيارها على موضوع اللغة ، واللغة وسيلة التعبير عن افكار ، فراحت تدعو اليها معتمدة في اختيارها المشاركين في الندوة على اسلوبين ، اولا ،

لقد حضر الندوة علماء من الاقطار العربية ، ولكن لم يبدع من الغرب احد ، ولم يحضر من مصر سوى شخصين احدهما كان مهرجا لا يمت الى الندوة بصلة بل كان همه الاكبر منصبيا على هدم السد الذي منع الطلى عن ارض مصر اما الاخر فهو الاستاذ نجيب ابو الليل وهو رجل مسؤول ومختص في الاعلام ، ولا شك ان شخصا واحدا يمثل مصر ليس كافيا ففي مصر جبهة كبيرة ملبة بانواع المعرفة والمعلوم ، وبمصر قلب هذا العالم العربي لا يتازعها في ذلك منازع ولا يعارض غير ذي حقد دفين ، ثم ان المفروض من الندوة ان تستدمي علماء المواد العلمية ، فهم اصحاب المصلحة من الندوة ، وهي وان استدعت بعض العلماء في النبات والفيزياء والكيمياء الا انهم قلة اذا تيسوا بمن حضر الندوة بمن علماء فقه اللغة والديانة .

ولقد ظهرت في التوصيات الختامية رائحة المصالح الشخصية فلقد حاول الاستاذ محمود الفول متخصص في تاريخ البين القديم وهو مقرر اللجنة ان يجر التوصيات لصالح تقاضيا شخصية يريد بها ، ولقد حاول ان يأخذ اكثر من توجيه للاستفادة ودفع الحكومة الليبية لاستغلال التراث اليمني ، وهو يعني خصمه في تنييل الندوة للذباب الى هناك ، ذلك وصف في وجهه بعض الاساتذة وصرح الاستاذ احمد مطلوب بان التوصيات تشتمل منها الرائحة الشخصية وتقال الاساذ محمود عبد المولى ، وهو تونسي يعمل في جامعة طرابلس : « لقد اغفلت الندوة ايها الفول !! .. » .

وعلى كل حال ، لقد كانت الندوة مفيدة وموفقة رغم ما جرى فيها من سلبيات لا يؤاخذ الاخوة الليبيون عليها . ولكن يبقى بعد ذلك سؤال يطرح نفسه في كل مؤتمر عربي او ندوة : « من سيلتزم بتنفيذ التوصيات » .. ؟؟؟ ان اي قرار واية توصية لن ترى النور ما لم يرافقتها قرار سياسي . ولقد قال العقيد القذافي ان الحكومة الليبية ستأخذ بكل توصيات الندوة وستعمل على تنفيذها .

هذا لخص لاجمال ندوة التعريب التي عقدت في طرابلس عاصمة الجمهورية العربية الليبية ، نرجو ان نوفق في نشر بعض ابحاثها وستنشر في العدد القادم توصياتها وقراراتها ، ايها منا باعمية الندوة وتدرات هذه الامة على المعطاء الحضاري .

الكويت — خالد سعود الزيد

الجبرة في التعريب ، ولقد طرح الاخوة الجزائريون مشروع الجزائر للتعريب الكامل ، مما اثار اعجاب ودعشة الحاضرين . ولقد وفقت الجزائر في اختيار اعضاء وندها الذين امتازوا بوضوح الرؤية والقدرة على المناقشة البناء الهادفة البعيدة عن الهذر والزيف فنتحية للاخوة الجزائريين وللجزائر المجاهدة .

في اليوم الخامس للندوة وهو يوم الاربعاء الموافق ٢٩-٧ حضر مساء العقيد معمر القذافي رئيس مجلس قيادة الثورة الليبية وفي البداية رحب بالشاركين في الندوة قائلا :

نرحب بكم في بلدكم ، ونعتبركم جنودا تلبسون الدماء عندما تستدعون ، وانني اتنى ان اسمع منكم اكثر من ان اتكلم . وقد اختارت الوفود الاستاذ صبحي الصالح ليقيم برد التحية تعبيرا عن الجميع ولكن تلاه حديث من الاساتذة الاجلاء مكرر معاد ، كما يعيد الاطفال عباراتهم وكما يكرر الصغار الفاظهم وتدرجت عبارات التلق والتزييف من بعضهم مما اضاع طابع الجد من الندوة وتلفقنا ايدي اثنين من المشاركين فصرنا كرة بينهما وما اراحنا واثني تآخروها غير ترك العقيد الندوة بعد ان استمع عبر ثلاث ساعات ونصف الساعة حديثا مزوق العبارة ملفق الموضوع منهوك الكرامة . اعاننا الله من مفكرين على هذه الشائكة وبهذه

الغالب المهادرة .

وبعد مغادرة العقيد ركبا السيارات متوجهين الى المدينة السياحية وهي لا تبعد عن طرابلس غير بضعة كيلو مترات شمالا . فشهدنا شريط « رسالة الاسلام » الذي كان سابقا باسم « محمد رسول الله » وعرضت علينا فقرات منه باللغتين العربية والانكليزية وهو شريط مقنن في اخراجه وادائه . نرجو ان يكون ذا اثر في نفوس مشاهديه من غير المسلمين الذين لا يعرفون عن الاسلام الا صورة شوهاء رسختها في نفوسهم جاهلية الحروب الصليبية فاورثت العداء للاسلام ولرسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي مساء اليوم التالي دعينا لحضور مشاهد مسرحية مثلها شباب ليبيون اجادوا ادوارهم . وقد كانت باللغة الفصحى ولقد برهن هؤلاء الممثلون الصغار سنا ان الفصحى هي اسهل في توصيل المضمون الى الجمهور وهي اسهل من هذا الغث الذي ابتلينا به في مسارحننا المتعمدة في احياء العماية بل الميت من العماية .

لقد تديت الندوة واعطت فوق ما كان متوقعا منها واعطى الاخوة الليبيون جهدا يشكرون عليه وسخرت الصحافة الليبية كل اقلامها واستطاعت ان تلت انتظار الآخرين اليها .



تعريب العلوم في الجامعات

للدكتور أحمد مطلوب

هذا بحث لم يكتب لاساتذة اللغة والادب لانهم ادري به ، ولا للشابطين بالامة ولغتها لانهم اصغر من ان يلتفت اليهم ، ولكنه كتب لاساتذة العلوم المؤمنين باللغة العربية ودورها في خدمة العلم وتطوره . وقد كانت الدعوة الى التعريب قديمة ، عرفها العرب في جاهليتهم حينما دخلت لغتهم الفاظ من لغات اخرى ، ولكن الذوق العربي صقل تلك الالفاظ وهذبها حتى صارت جزءا من اللغة .

وحينما تفتحت الحياة العربية ، بعد الاسلام ، كان التعريب معلما من معالم الحضارة الجديدة ، وكان للترجمة نصيب كبير في تطور هذه الحركة ، فقد احتاج المترجمون الى المصطلحات والالفاظ التي تعبر عن المعاني الجديدة والمصطلحات الغربية . ونجح العرب كل النجاح في مواكبة التطور الحضاري وقدموا للعالم زادا فكريا ظل مثاقفا حتى عصر النهضة الاوروبية .

وكانوا فيها وضعوا من مصطلحات يتجهون اتجاهاين هما :

الاول : وضع كلمات عربية لما طرا على حياتهم من تقدم علمي وحضاري ، مستعنيين بوسائلهم في نمو اللغة وتطورها . وكانت لغتهم ثرة غنية امدتهم بكثير مما احتاجوا اليه .
الثاني : تعريب الكلمات واستعمالها بعد صقلها وتهذيبها لتكون جارية مجرى كلامهم او قريبة من ذوقهم اللغوي .

واثر هذان الاتجاهان ، وكان لهما اثر كبير في تقدم العرب العلمي وازدهار حضارتهم طوال تلك القرون . ولكن اصاب العرب ما يصيب كل امة تفقد طريقها وتضيع في مناهات الدروب ، وظلوا ردا من

بدعوة من مجلة الثقافة العربية الليبية ، عقدت ندوة التعريب في طرابلس - الجمهورية العربية الليبية ، في الفترة ما بين ٢٧ الى ٣١ يناير من هذا العام .

وتنشر مجلة « البيان » بعض البحوث التي اقيمت في الندوة ، مساهمة منها في معركة التعريب . وهذه خلاصة للبحث الذي قدمه الدكتور احمد

مطلوب ، الاستاذ في جامعة الكويت ، الى الندوة ، وقد نوقش يوم الثلاثاء ١٩٧٥/١/٢٨ . والبحث الذي قدم مطبوعا ووزع على اعضاء الندوة يقع في ستة اقسام :
الاول : تقديم ، شرح فيه الباحث الاهداف العامة للتعريب وخطة البحث التي سار عليها للوصول الى الغاية .

الثاني : تهييد ، تحدث فيه عن التعريب قديما وحديثا ، وعن الجهود العلمية التي بذلت في سبيل ذلك .
الثالث : تشخيص ، تكلم فيه عن دوافع التعريب ووضح العقبات التي تقف في طريقه وقدم بعض المقترحات التي رآها مفيدة في هذا الميدان .
الرابع : تحقيق ، اوضح فيه ما انتهى اليه الاستفتاء الذي اجراه لاساتذة العلوم ، وما انتهى اليه الامر .

الخامس : تنوير ، لخص فيه وسائل نمو اللغة العربية وهدى الافادة منها في التعريب .

السادس : تلخيص ، عرض فيه ما انتهى اليه البحث ، وما انتهت اليه دعوة تعريب العلوم في الجامعات .

والمحدثين في التعريب فكان هذا البحث الذي يضع نفسه على استحياء بين بحوث الدارسين .

لقد شاع بين اساتذة العلوم ان اللغة العربية عاجزة عن الاخذ بأسباب الحضارة والتقدم العلمي ، وصار ذلك حقيقة لدى الكثيرين منهم ، ووفر في نفوسهم ان التدريس باللغة العربية في الجامعات صعب ان لم يكن مستحيلا . واخذت هذه الفكرة تعمق كلما امتد الزمان ، وكاد دعاة التعريب يلتفتون فلا يجدون الا انفسهم في هذا الميدان مع نجاحهم في اقتطاع انحاء من العربية سبيلا لم تحد عنه ، وظلت ثابتة تبرهن للاخرين ان العزيمية والاصرار والايمان تنفع الطريق في صم الجبال . ولكن لماذا التعريب ؟

ان اللغة اهم مقومات الوحدة العربية وهي السمة الاساسية التي تربط العرب من المحيط الى الخليج . واللغة العربية وعاء لثقافتنا وحضارتنا وتور يضيء لنا المستقبل ويحفظ كياننا بين الامم ، ولذلك كانت اللغة اول علامات النصر في معركة تحقيق الذات ، ولا تستطيع امة ان تحقق ذاتها من غير لغة . وقد سعت الكيانات المستحدثة الى اصطناع لغات لها او احياء لغاتها القديمة التي عفا عليها الزمن وصارت طغسا تتلى في المعابد . ونحن اذا اردنا ان نبني جيلا صالحا يرتبط بوطنه وامته لا بد من ان نعلمه لغته ليتخذها وسيلة العلم واتقانه ، وان التهان من ذلك معناه فصله عن امة وتوجيهه نحو الثقافة الاجنبية وحدها وركونه الى ما يكتب الاجانب ، وفي ذلك قضاء عليه ، واذلال ايمته ووطنه . ومن اجل ذلك قامت حركة التعريب لتعيد الى الامة كيانها وتحفظ وجودها في هذا العالم المتصارع .

وقد يكون التعريب صعبا في اول مراحله لضعفنا على ما ورثناه من الجيل السابق ، ولكن العمل يغدو طبيعيا بعد فترة صبر ومجادلة وايان ، ويصبح البعيد قريبا ، وبذلك يتم ما نصبو اليه . وبعد هذه المرحلة التي ستكون - بلا ريب - شاقة مضنية ، يكون الطريق لاجبا امام الباحثين ، وحيزنا يضاف الجديد بسهولة ويتم بيسر كما تفعل الامم الاخرى التي آمنت بلغتها وثابت وجودها . ولن تتم هذه الخطوة الاساسية الا بعد ماثرة وجهد وتوعية تشترك فيها الجامعات والمؤسسات العلمية واجهزة الاعلام . وفي هذه المرحلة ينبغي ان نلتزم اجهزة الاعلام باللغة الفصحى ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، وان تحببها الى النشر وتعودهم على سماعها وفهمها ، وهي قادرة على اداء واجبها على خير ما ينبغي اذا وجهت توجيهها صحيحا ووضعت اهدافها الهدف النبيل وانصرفت عن الصناعات بالهجات المحلية وتعميق الخلاف بين الامصار العربية او بين مدينة ومدينة كما نسمع احيانا من ابتداء للجهات او

الزمن لا يقدمون جديدا او يضيفون الى الحياة ما يدفع الى التقدم ، وظلوا يتناولون ما احده اسلافهم سرحا الى تلخيص الى ان اطل فجر النهضة الحديثة واتصلوا بالغرب فمروا حياة جديدة لم يالفوها في عهود غوتهم وروا عليها يد العالم بكل نافع مفيد . وكان لا بد لهم من ان يفتحوا بالعالم .. وان يكون لهم ما كان لاسلافهم ، بل اعظم مما عرفوا في سالف الزمان ، فارسلوا البعث وفتحوا المدارس واقاموا المعاهد والجامعات وانشأوا المؤسسات ، وبدأت شمس العلم تسطع من جديد . وقام الرواد العرب في هذا العصر باحسن ما يقوم به مؤمن بامته ولغته ، وحاولوا ان ينقلوا الحضارة الجديدة وان يأخذوا بأسبابها ليزدهر المجتمع وينعم الناس بالخير العميم . وتنجوا في ذلك نجاحا يدل على حرصهم ووعيمهم غير ان المصطلحات وقتت تعوق تقدمهم وتضرهم مما عقدوا العزم عليه . وعادوا الى القديم يستوحون عنه ويأخذون ما ينفعهم وينير لهم السبيل . ولكن العلم في هذا العصر كان اكثر اتدناعا واغزر انتاجا ، ولن تغني مصطلحات العرب كثيرا ، فهاذا يفعلون ؟ لقد رجعوا الى وسائل نمو اللغة واخذوا بها على حذر في اول الامر ، ثم توسعوا فيها بعد ان اجازت مجامع اللغة العربية كثيرا من التوسع ، ثم لجأوا الى التعريب فيها لا قدرة لهم على وضع مصطلح عربي الاصول والسيات وبدأت هذه المصطلحات تأخذ دورها في الترجمة والتأليف ، وملك الاساتذة والباحثون تامة اللغة ، فكانت للكثيرين دراسات عميقة وبحوث أصيلة تشهد على قدرتهم وقدره اللغة العربية في التعبير عن حياة العصر والتقدم العلمي .

وكان للمجامع اللغوية والجامعات العربية والمؤسسات العلمية دور كبير في هذا العمل الضخم ، وكان لاساتذة العلوم الحديثة فضل لا ينكر في هذا الميدان ، فقد بذلوا جهودا عظيمة ، ووضع بعضهم معاجم علمية والف بعضهم كتباً يسترشد بها المترجمون والمربون . وقام اخرا المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الغرب العربي ليكون حلقة تصل الباحثين وتجمعهم على رأي واضح في التعريب ليصدر العلماء عن مصطلحات موحدة تأخذ مكانتها في كتب المؤلفين والمترجمين .

ولم تنف حركة التعريب ، فلا تزال في العلم سعة ولا يزال الطريق طويلا ، ولا تزال معظم الجامعات العربية تدرس باللغات الاجنبية ، وفي ذلك انكار للالة واستهانة بلغتها . وقد كان للدعوة التي وجهتها ندوة التعريب في الجمهورية العربية الليبية صدى عميق في نفوس العاملين من اجل امتهم ، ودفعت هذه الندوة الى التفكير الطويل والرجوع الى جهود القداماء

ان خلود العربية يرتبط بخلود الامة ، ولن يتم ذلك الا باتخاذها اساسا في التعليم الجامعي ، وقد ادركت شعوب العالم ذلك فسمعت بكل ما اوتيت من قوة الى تغليب لغتها وفرضها على معاهد العلم والجامعات . ولا تكاد امة في هذا العصر تدرس بغير لغتها الا العرب الذين تحرروا من الجيوش الغازية ولم يتحرروا ! من آثار الغزاة والا لشعوب المستعبدة التي لا تزال ترزح تحت وطأة الاستعمار . وما لنا نذهب بعيدا والامثلة بين ايدينا ، فغزة تركية التي خرجت في الحرب العالمية الاولى مدحورة تتخذ جامعاتها اللغة الوطنية في التعليم ، وهذه ايران سعت حيثما الى اتخاذ الفارسية وسيلة للتدريس في الكليات العلمية ، وهذه الهند اخذت بعد استقلالها تستخدم اللغات الهندية في جامعاتها ، وهذا الكيان الصهيوني يتخذ العبرية لغة لجامعاته مع ما فيه من شعوب شتى وقوميات مختلفة نزحت الى فلسطين لتلثم ايش دور في تاريخ العالم الحديث .

هذا ما كان من امر الدول المجاورة ومن امر الكيان الصهيوني ، ولكن لماذا نمر على التدريس باللغات الاجنبية في جامعاتنا ؟ ان الباحث المدقق ليجد الجواب واضحا ، فقد حاول الاستعمار منذ ان دخل ديارنا القضاء على اللغة العربية والدين والتاريخ ، وهي من اهم قومات امتنا . وكان مما قاله الحاكم الفرنسي لحيثه الزاخر في الجزائر : « علوا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر ، فاذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمتها حقيقة » . وفعل مثلهم الانجليز حينما احتلوا بعض الاقطار العربية واخذوا يشككون في صلاح العربية ودفنوا الى صنائعهم هذا التشكيك في المدارس والصحافة والمؤسسات .

ان التمسك باللغات الاجنبية وفرضها في تدريس العلوم اثر من آثار الاستعمار والقبضية ، وقد كان بسبب الصراع بين لغات المستعمرين ، وكانت كل دولة تسعى الى نشر لغتها وتعزيزها بكل ما اوتيت من حيلة تارة وبما لديها من قوة احيانا .

وما يتصل باثر الاستعمار وتسلبه نشوء بعض الجامعات العربية في ظل الاستعباد وبذلك كانت العناية عظيمة بلغة المستعمر الحاكم وفرضها على جنودها في البلاد المغلوبة . وكان لا بد للجامعات في هذه الظروف القاسية ان تخضع للانجبي الذي كانت زمام الامور بيده ، فغرض المبداء والاستاذة من ابناءه او ممن يدينون له بالولاء . وقد سمي هؤلاء جاهدين - اكثر من الاجنبي نفسه - الى خدمة اغراضه ومطامعه ، وحاربوا كل من لا يدرس بلغة السيد ، بل بنموا في كثير من الاحيان من لم يتخرج في جامعات اوروبية وامريكية من العمل في الجامعات والوصول الى القيادة ، فخرهم

احياء لما اندرس منها اشحاكوا للجهور او نكابة بالامة العربية . وهذا امر ينبغي مقاومته ويجب التأكيد على العربية الصانعة ونشرها ، فقد انتهى زمن التعللج بالثقافات الغربية والوطانة الاعجمية واصبح العالم يعيش ثقافة واحدة ويسمى الى نشر العلم ، بلغات الامم كلها .

ولن تغني الترجمة كثيرا ، لان ما يصدر اعظم من ان يترجم ، وان وضع الكتب العلمية اسهل وايسر ، واذا كان لا بد من الترجمة فيمكنني باهم ما يصدر وبما فيه اضافات جديدة . وبذلك تنابع الحركة العلمية وترفع من اماننا التهويل في كثرة الانتاج العلمي ، وهو ما يضع بعض الدارسين عقبة كئداء بوجه الساعين الى التعريب ، وما هو بالعقبة التي لا تطل ، لان الاخلاص والسحق والايمان تكفل تذييل المسابغ وانهاء الوضغ الذي تحيا به الامة في غير لغتها .

ان العزيمة الصادقة هي المنطلق الناجح في كل ما نسعى اليه ونقوم به ، واذا كان من الصعب البدء بعملية التعريب منذ مطلع هذا القرن - وقد بدأها القطر السوري - فليس صعبا الان بعد هذا التقدم السذي احرزها العالم العربي ، وبعد هذه الحركة البهية المباركة التي تعم الاقطار ، وهذه الجامعات التي تنشر نورها في الافاق ، وهذه الكتب التي تغمر الاسواق وتعمر العقول . وقد استعنت العربية للحضارة قديما وعبرت عن متطلبات الامة ، فكيف لا تتسع في هذا العصر بعد التطور الذي شملها والتقدم الذي احرزته ؟ لقد اعترف المنصفون بصلاح العربية لدراسة العلوم في الجامعة والبحث العلمي ، وقام عدد كبير منهم بالتطبيق ونجحوا الى حد كبير ، وان لاتوا صعوبات في اول الطريق ، ولكنهم ظلوا بالصبر والمثابرة والايمان .

الاولى : اتقان اللغة الاجنبية التي يتم بها التعليم .
والثانية : تحصيل العلم .

والتعريب ييسر العلم ويختصر المرحلة الاولى ، ويصرف المتعلمين الى الفهم الذي يؤدي الى التمكن من المادة العلمية واستيعابها ، وفي ذلك فائدة عظيمة وتقدم لامة سريع . يضاف الى ذلك ان التعبير عن الفكر والمعلومات باللغة الام اوضح واكثر دقة من التعبير باللغة الاجنبية التي لن يتكن منها غير صاحبها ، وبذلك يخدم التعريب العلم ويصبح الطلبة والاستاذة تادرين على التعبير السليم والتأليف والتحقيق ويزول الجفاء المصطنع بين الباحثين ولغتهم ، وفي ذلك خدمة لامة وللعلم في كل مكان بعد ان حمل العرب مشعل النور واصبحت لغتهم على كل لسان ، فامتسبت عظمة لم تقدر ، لو لم يسع المخلصون جاهدين ، وتالت خلودا ابقاها شاهدا على ما كان لامة من تراث خالد وفكر خلقي .

الوطن . وحينما تحرروا كانت الأيام قد سبقتهم واصبحت الامادة منهم قليلة بعد ان فقدوا قدرة الشباب .

والى جانب هذه الاسباب، نجد سببين آخرين لما يكن للجامعات في دور نشأتها بد من تجنبها ، وهما :

الاول : قلة الاساتذة العرب ، وقد فتح ذلك الباب على مصراعيه للاجنبي والخالصين في زكائه ، وكان ذريعة توصلا بها الى اهدافهم حتى بعد ان كثر الاساتذة العرب واصبحوا قادرين على تسليم القيادة ، ولكن غات الاوان ، فقد احببت القبضة على التعليم الجامعي وفرضت المناهج والاتجاهات واصبح التخلص من ذلك الواقع صعبا ، لان الذين ظلت بأيديهم السلطة بدؤوا يغيرون من اساليبهم الاولى ، واخذوا يشيعون ان التدريس بالعربية مفسدة ، وانه يؤدي الى ضعف الطلبة وهبوط المستوى العلمي . وصنق من لم يكشف الخدعة هذه التملة وإبقوا الوضع على ما كان عليه .

الثاني : قلة الكتب العلمية ، وكان لذلك اثر في التمسك باللغة الاجنبية . فقد فتح العرب عيونهم في هذا العصر بعد سبات طويل ، ووجدوا كل شيء حولهم جامدا ، وكان الغرب قد سبقهم واكتشف ما لم يدرك في خلد انسان ، والف في العلوم المختلفة ولم تكن في العربية كتب تغني ، فاتخذوها يحذره الغرب وظلوا كذلك حتى اذا ما استضافوا ذلك ووجدوه سهلا يسيرا لا يكلف الا تحويل النقد ، ركنوا الى الراحة وتركوا الجامعات على حالها لا يعينهم من امرها شيء ، ما داموا يجدون الكتب الاجنبية امامهم ، وما داموا قد حفظوا ما في هذه الكتب وعرفوا كيف يقدمونها للطلاب . واذا كان هذا الوضع مقبولا في بداي الامر ، فلن يقبل بعد ان استقلت الامة العربية وتطورت تطورا كبيرا واخذت تسابق الزمن وتبعت بأبنائها ليتفوقوا على اقربانهم في الجامعات الاجنبية .

ان ما تقدم من اسباب كان العقبة الكاداة امام اساتذة العلوم ، وهي عقبات كان لهم يد في بعضها ولم تكن لهم يد في بعضها الاخر ، وكانت الامة تأمل منهم كل خير لولا عقدة النقص التي شعروا بها في اول عهدنا بالتبعية . . وقد ظلت تراودنا وتلاحقنا ، واصبحنا نائف ان ندرس بلغتنا او نقرأ بها . وربما لا يجهز ذلك بعضنا ، وانما يتحدث عن تدهور العلم وهبوط مستوى الطلبة عند التدريس بالعربية واتخاذها لغة للعلم ، وعن حرماننا من مواكبة العالم . وهذه تملات لا يقبلها وطني غيور يحب امته ويسعى الى تقدمها ، وهو يرى دول العالم تدرس بلغاتها وتتسابق في البحث والاخترع .

هذه اسباب لما نراه اليوم في جامعاتنا من نكوص وتخلف عن الاخذ باللغة القومية ، ويمكن ان تتوجه العربية توجيها صحيحا اذا توافر عاملان في دعم التعريب ، وهما :

الاول : ايمان الحكومات العربية بالتعريب ، وهذا عامل رئيسي يعتمد عليه التعريب كل الاعتقاد . والرأي ان الاضطراب سيظل ملازما للحياة الجامعية ما لم تتخذ الحكومات قرارا يلزم الاساتذة التدريس بالعربية . وقد فعلت ذلك جميع حكومات العالم، لانها تؤمن بان التمسك باللغة تملك بتراب الوطن وابتماد عن التبعية . ولم تقتصر حكومات العالم على هذا الجانب الحيوي وحده ، وانما كانت تفرض كثيرا من الاتجاهات التي تراهها صالحة وضرورية ، لانها تؤمن ان ترك هذه القضايا للآراء المتضاربة لا يوصل البلاد الى ما تصبو اليه من تقدم وبنعة . وليست القضايا المصرية مما تفتح له الابواب لتدخل الرياح من كل جانب ، وليست جدلا يفني الى تبادل الآراء وعرض وجهات النظر ، وانما هي اتخاذ القرار الحاسم الذي يصون الامة ويحيي ترابها وتراتها وآمالها في الحياة الحرة السعيدة . والامسة العربية قادرة على اتخاذ هذا القرار الحاسم ، لان فيه مزنها وهيبتها وخدمة العلم والسير به نحو الإبداع .

والثاني : ايمان العلماء والاساتذة بالتعريب ، ويأتي ذلك ذاتيا ، وهو ما نتوسسه في العاملين بصق والحريصين على تقديم ما فيه النفع لابنائهم ووطنهم ، او يأتي من السلطة التي تقر بحزم يدفع الى العمل والانتاج . فاذا تحقق ما أشرنا اليه وحسنت الحكومات وقررت الاساتذة استطننا ان نقوم بالتعريب على احسن وجه ، ويتم ذلك بامور :

١ - عقد المؤتمرات العلمية ذات المستوى الرفيع ، وشارك فيها العلماء من جميع الاقطار العربية . وتبحث فيها ما يخص العلوم وتعالج سبل تطويرها ووضع الخطط التي تكفل ذلك . على ان يلزم المشاركون فيها بالقرارات ويعملوا جاهدين للوصول الى ما يطمحون . ونرى ان تشرف على هذه المؤتمرات الحكومات ممثلة بجامعة الدول العربية ، لتكون قادرة على العمل والتخطيط ، ولتكون منفذة في الوقت نفسه .

٢ - تشكيل هيئات او اتحادات علمية تأخذ على عاتقها دراسة ظروف كل علم ووضع الاسس التكنيكية لتسهيل التعريب ووضع المصطلحات واقرارها . وفي العالم العربي اليوم عشرات من

- ٧ - هل وضع غيركم كتابا او بحثوا باللغة العربية في موضوع تخصصكم ؟ وما اشهرها ؟
 ٨ - هل تفضلون تدريس موضوع تخصصكم باللغة العربية بعد تذليل الصعوبات ؟ ولماذا ؟
 ٩ - اذا رايتكم التدريس باللغة العربية ، فما اللغة الاجنبية التي ينبغي ان يتقنها صاحب تخصصكم ؟
 ١٠ - ما ملاحظتكم العلمية ؟

وقد اجاب الاساتذة من هذه الاسئلة مشكورين ، وكانت اجاباتهم صريحة وهوبها نامله ونريده للتضخ الرؤية ويسهل العمل . وعند تنسيق الاجابات انضحت هذه الامور :

الاول : لقد اقتضت دراسة الاساتذة العليا على الاقطار الغربية ، وكان للولايات المتحدة الاميركية اولى نصيب . وعلّة ذلك ان البعثات العلمية كانت قبل سنوات تتجه الى هذه الدولة ، ولكن السنوات البعدة كشفت عن خطط اخرى للبعثات ، فقد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية دول متقدمة لها حظ عظيم من العلم والتقدم في مجالاته المختلفة . واتجه العالم العربي نحو الكتلة الشرقية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي والى دول العالم الثالث ، وبدأت البعثات تتجه الى هذه الاقطار ، واخذ العائدون يتولون التدريس في الجامعات ويتباون المناصب في الهيئات والمؤسسات العلمية .

وهنا نقف لنسال : اذا ظل التدريس باللفسة الانجليزية ، لان المسيطرين على الجامعات الآن تخرجوا في الجامعات الانجليزية والامريكية ، هل نهدم من تخرج في الدول الاشتراكية او في الدول التي لا تدرس بالانجليزية عن الجامعة ونقول لهم ابحتوا لكم عن عمل لانكم لا تصلحون للجامعة ؟ او نطلب منهم ان يتعلموا الانجليزية تعلميا يؤهلهم للتدريس والتاليف والبحث فيها ؟ وهل نوقف البعثات الى هذه الدول بعد الارتباط العلمي والاقتصادي ونعيد الطلبة لنضع مستقبلهم او نجبرهم على الدراسة من جديد في دولة تتخذ الانجليزية وسيلة للتعليم ؟

اذا بقينا متمسكين بالانجليزية في التدريس ، كان الجواب : ليهذب هؤلاء الى المستقبل المجهول ولتندد الامة جوعود وما يقدمون ، ولتحتضن خريجي الولايات المتحدة الامريكية واتجلترا والتابعين ، ولتقطع الدول العربية علاقتها مع غير هاتين الدولتين . وفي ذلك اهدار للطاقات واضعاع للامة وهي تتدفع للتحرر وتنطلق الى بناء حياة علمية راسخة .

ان الامة التي تريد بناء نفسها والمحافظة على كيانها تأخذ من الدول المتقدمة كلها وتتعاون مع الاصقاء ولن نجعل اللغة عامثا يعرقل التقدم والازدهار ، فلنذهب الطلبة الى اية جامعة ولتعملوا بآية لغة ،

هذه الاتحادات ، وهي قادرة على العمل والبناء لو بذلت جهودا اعظم وانصرفت الى الدراسة العلمية الجادة ، وتركت بعض اعمالها لغيرها من لهم صلة وثيقة بها .

- ٣ - قيام المراجع العلمية واللفوية بنشاط اوسع مما نلاحظه اليوم ، وهذه المؤسسات قادرة على العمل العظيم لان فيها العلماء والفقيين ، ولانها تلك وسائل البحث والنشر .
 ٤ - اصدار المجلات العلمية ، وتنسيق المجلات التي تصدر الان وتوجيهها نحو خدمة التعريب .
 ٥ - العناية بنشر الكتب العلمية وتدريبها في الجامعات كما يفعل القطر السوري الان .
 ٦ - العمل على توحيد المصطلحات العلمية واصدار المعاجم الموحدة لكي يصدر الباحثون عن منطق واحد .

٧ - دعم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط والالتزام بما يتفق عليه العلماء والباحثون في نواته ومؤتمراته .
 ٨ - دعم اتحاد الجامعات العربية ، واتخاذ مكتبه حلقة وصل بين الجامعات العربية ، وسيخدم الالتزام بقراراته ما نسعى اليه .

٩ - اقامة ندوات للتعريب بين فترة واخرى ليلتقي فيها اصحاب الشأن ويتبادلوا الآراء وينسقبوا الجهود ويوحوا الاعمال .
 ١٠ - نشر الوعي بين الجماهير ونهضة السبل التي تكفل تحقيق الغاية من التعريب

هذه الامور وغيرها مما يدفع الى نجاح التعريب ، وحتى يتم ذلك ينبغي البدء بالتعريب في الاقطار العربية كافة ، والبدء بوضع كتب علمية تخدم الهدف كما فعل القطر السوري ، والا فالانتظار حتى تتم هذه الخطوات يفضي الى اعانة التعريب ، بل القضاء عليه .

وقد يكون ما تقدم من هذا البحث بعيدا عن التطبيق ، ولان ان يأخذ مسه العلمية كان الاتصال باساتذة العلوم لانهم اصحاب الشأن وعليهم الاعتماد في نجاح التعريب ، ووجهت اليهم هذه الاسئلة :

- ١ - ما الجامعة التي تخرجتم فيها ؟ وما مكانها ؟
 ٢ - ما تخصصكم العلمي الدقيق ؟
 ٣ - هل درست موضوعكم في الجامعة باللغة العربية ؟
 ٤ - هل لاقيتم صعوبة في التدريس بها ؟
 ٥ - ما اهم الصعوبات التي لاقتكم ؟ هل هي في الشرح او في المصطلحات ؟
 ٦ - هل وضعتم كتابا او بحثوا باللغة العربية في موضوع تخصصكم ؟ وما هي ؟

(٢) نجاحه في الجامعات العربية التي عربت فيها العلوم .

(٣) نجاح التدريس بالعربية في المرحلة الثانوية ، ولا ينكر احد ان كتب هذه المرحلة تضم اصول العلوم وكثيرا من دقائقها .

الرابع : وحددت اجابة الذين درسوا بالعربية الصعوبات ، ومعظمها يتصل بالمصطلحات ولكن الكثيرين منهم اشاروا الى انهم لم يلاقوا صعوبة في التدريس الا في اول الامر ، وانهم استطاعوا ان يطورو اللغة العربية ويسيروا بها نحو خدمة العلم وهم بذلك لا يختلفون عن الاساتذة الاخرين الذين عادوا الى اوطانهم ودرسوا بلغاتها القومية ووضعوا المصطلحات الدقيقة او استعانوا بالمصطلحات الاجنبية .

الخامس : وكانت الصعوبة في المصطلحات ، ويتضح ذلك في :

(١) ان المصطلحات الدقيقة لم توضع لكثيرين المصطلحات الاجنبية .

(٢) ان البلاد العربية لم تتفق ، حتى الآن ، على تحديد المصطلحات كلها ، وهذا مما يبعث على الاضطراب احيانا وقلة الافادة مما يكتبه الاساتذة في الاطوار العربية المختلفة احيانا اخرى .

وقد لجا بعض الاساتذة للتغلب على صعوبة التدريس بالعربية الى استعمال المصطلحات الاجنبية مما لم يوضح اسم عربي ، وكان شرحهم بالعربية وهو اسهل عليهم واكثر فائدة للطلبة . وقد جاءت هذه العملية — الشرح بالعربية والمصطلح بالاجنبية — توفيرا للوقت والجهود التي انجهدت في نواح اخرى .

ولم يلاق بعض الاساتذة صعوبة في الشرح والمصطلحات ، فقد استطاعوا بالمثابرة والاشراع ان يقضوا على العقبات التي تقف امامهم . ولم تكن المصطلحات عتبة لا تطل في سبيل التدريس بالعربية فقد بذلت جهود عظيمة في هذا العصر ووضعت معاجم كثيرة للعلوم المختلفة . ونرى ان الخطوة الاولى لوضع المصطلحات تكون بالبحث في المعاجم العربية واستخلاص ما وضع من مصطلحات العلوم قديما ، وسنجد فيها الكثير مما يسهل المهمة ويبد الدارسين بما ينفع ويبدد المصاعب . ولا نرى بأسا في ان تستعمل الالفاظ القديمة للدلالة على المسيات الجديدة وان كان لها معنى معين ، لان المصطلح ليس مما يستعمله اصحاب اللغة او عامة الناس ، وانما هو خاص باصحاب الفنون والحرف والعلوم . ونرى كثيرا

من ذلك اثره وتوسع ، ولبعد هؤلاء الى الاوطان لخدموها ويتقدموا لها ما حصلوا عليه ، على ان يتخاطبوا بلغتهم ويؤلفوا ويدرسوا بها ، وبذلك لن تهدر الطاقات وتتحطم الامل وتذهب الاموال بددا . ان الاخذ باللغة القومية في التدريس يحل المشاكل ويقضي على التخلف ويسون الطاقات من الضياء ، وقد اخذت بذلك الامم كلها وفرضت لغاتها القومية على المعاهد والجامعات .

الثاني : كانت تخصصات الاساتذة دقيقة ، وهي مما يحتاج اليها الوطن لبنائه وارساء قواعده . ولكن بذل الطلبة للجهود العظيمة في اللغة الاجنبية قبل البدء بالدراسة العلمية سينفوت عليهم فائدة كبيرة . وما ضر لو كان التدريس بالعربية ، اذن لاغني من تلك الجهود ووجهها الى فهم المادة العلمية واستيعابها . وفي ذلك اختصار للوقت والجهد وتقدم واضح في العلم الذي يخطو سريعا ولن نلحق بركبه ان لم نختصر الوقت في الحصول عليه بتدريسه باللغة العربية .

الثالث : قام بعض الاساتذة بتدريس تخصصهم بالعربية ، وتشمل هذه التخصصات : الرياضيات والكيمياء والجيولوجيا والنبات وعلم الحيوان . وقد اجاب احدهم انه درس تخصصه في السنة الاولى ، وقال آخرون انهم درسوا تخصصاتهم في سنوات الدراسة الاربعة . ولم يدرس البعض الاخر بالعربية ، وذكر غير واحد انه لم يجرب العمل ولو جربه لافاه سهلا يسيرا ، في حين قال قسم قليل ان التدريس بالعربية غير ممكن وانه مستحيل .

يتضح من ذلك ان الكثير من الاساتذة جربوا التدريس بالعربية لا في دمشق وحدها ، بل في القاهرة وبغداد والرياض ، وكانت اللغة طيعة لهذه العلوم . وبذلك لم تكن المهمة صعبة او مستحيلة . . ولو حاول كل اساتذ لتنجح ، ولما وجدنا من يذكر ان الاخذ بالعربية غير ممكن ، وكيف يكون ذلك ودول العالم تقرض لغاتها ، وليست لغتنا بقاصرة ، بل هي من اغني لغات العالم في الاشتقاق والتوليد والارتجال . ان اللغة التي تضم اكثر من اثني عشر مليون كلمة لا تعجز عن احتضان العلوم ، ولو فرضنا ذلك لكان غيرها عاجز .

وما يؤيد قدرة العربية على تدريس العلوم

امور منها :

(١) نجاح التعليم العالي بغير الانجليزية في جامعات العالم المختلفة .

كل مكان .

الثامن : لقد فضل عدد كبير من الاساتذة التدريس بالعربية لاسباب كثيرة ، منها :

(١) ان الطلبة يكونون اقصد واسرع على استيعاب العلوم باللغة الام ، وبما دام معظم الطلبة في جامعاتنا عربا ، فلا بد من تدريسهم بلغتهم بعد ان اتضح من التجارب ان الطلبة لا يستوعبون العلوم بسرعة وبدقة بغير لغتهم .

(٢) ان التدريس بالعربية يخفف من صعوبة العلوم ويزيد قدرة الطلبة على التعلم .

(٣) ان التدريس بالعربية يزيل الازدواجية بين لغة الطلبة ولغة العلم الذي يتلقونه ، وفي ذلك نفع كبير وتقدم سريع .

(٤) ان العربية هي اللغة القومية ، ولا بد ان تكون هي الاساس في التعليم ، وفي ذلك حماية لها واحترام للناطقين بها .

(٥) ان التدريس بالعربية يساعد على نمو اللغة وتطورها لتستوعب متطلبات العلم والحياة الحديثة .

واوضح استاذان انه لا فرق بين التدريس بالعربية او الانجليزية ، وان الامر عندهما سواء ومعنى ذلك ان العربية صالحة للتدريس في الجامعات ، كما امر الكثيرون ولم يفضل بعض الاساتذة التدريس بالعربية وذهب احدهم الى انه لا يمكن التدريس بها ولا يمكن تنزيل الصعوبات لانها لغة ادب وخيال لا لغة علم وتطور .

ويكمن اجمال رأي هذا الفريق في :

(١) ان الكتب والمجلات العلمية لم تتوفر حتى الان .

(٢) ان المعاجم العلمية لم توضع .

(٣) ان الكتب والبحوث العلمية لم تترجم مما يجعل متابعة الدراسة صعبة ومستحيلة .

(٤) ان بعض العلوم لا تزال في دور نشأتها تكوينها .

ولو نظرنا الى هذه التعلات لآخذ منا اليأس كل مأخذ ، ولا نعرف الاساتذة عن لغتهم ، فمن قال ان الكتب والمجلات العلمية لم تتوفر ، وهذه المكتبة العربية تخرز بالمئات منها ، وها هي بعض الجامعات تدرسها او تستعين بها او يأخذون منها ما يحتاجون اليه . وقد تكون هذه الكتب والمجلات المعاجم قليلة ، ولكن ما من سبيل الى نموها وتطورها بغير العمل والمشاركة والإيمان ، وكيف نستطيع حل هذه المشكلة او التغلب

من المصطلحات القديمة والحديثة لها دلالة لغوية حسيمة ، ولكن حينما يستعملها اصحاب العلم لا ينصرف الذهن الى تلك الدلالة وانما يفهم منها المعنى الجديد او المعنى الاصطلاحي . وهذه هي الخطوة الثانية اما الخطوة الثالثة فتكون في العودة الى الكتب العلمية القديمة والاعادة مما فيها من مصطلحات موضوعة او معربة ، وسنجد الكثير كاسماء النبات والحيوان ومظاهر الطبيعة وغير ذلك .

وقد التفت الى هذه الناحية مجمع اللغة العربية واتخذ قرارا قال فيه : « ينظر المجمع في اختيار مختصين بشؤون العلوم العربية لآخراج المصطلحات العلمية القديمة من الكتب العربية وعرض كل فرع على اللجنة المختصة » . ثم قال « تدرس كتب العرب القديمة المتصلة بالمصطلحات العلمية ويعمل لكل كتاب منها معجم بالمصطلحات التي وردت فيه بحيث تكون هذه المعاجم في متناول الايدي عند التعريب » .

فاذا ثبت هذه المراحل وبقي الكثير مما ليس له مصطلح ، كانت العودة الى وسائل نمو اللغة وتطورها مما يعرفه اصحاب اللغة والملاء . وهي وسائل تغني في هذه المهمة ، وان يخيب الدارسون اذا احسنوا استخدامها والتصرف فيها . ونرى - الى ان يتم هذا كله - الاخذ ببعض المصطلحات الاجنبية لكي تسقط حجة الرافضين للعربية ، لان تعريب العلوم كما يذهب اليه الكثيرون - يفصل بين الشرح والمصطلح في هذه المرحلة .

وليس بعد ذلك مما يدعو الى الخشية من صعوبة المصطلحات ، فقد ساهمت الجامعة اللغوية والمؤسسات العلمية والباحثون في تذليل الصاعب ، ووضعت اسس عامة اذا اتبعت اوصلت الى احسن النتائج وفتحت السبيل لن يريد التأليف او التدريس بالعربية :

السادس : واتضح ان بعض الاساتذة الفوا كتبوا او نشروا بحوثا علمية بالعربية ، وان بعضهم يسعى الى تذليل الصاعب ليشترك اخوانه في هذا الميدان وليخدم المكتبة العلمية باللغة العربية ، كما فعل اساتذة الطب والعلوم في جامعات القطر السوري وغيرها من الجامعات العربية .

السابع : واتضح ان عددا كبيرا من الاساتذة اطلع على ما كتبه زملاؤه العرب في موضوع تخصصه ، واجاب بعضهم بانهم لا يعرف كتابا علميا باللغة العربية ، وفي ذلك انكار للجهود التي تبذل في

عليها اذا كنا غير عابئين . ان الاساتذة الجامعيين والباحثين العليين مسؤولون عن هذه المهمة ، ويقع على متانتهم عبء العمل وانهم لقادرون على القيام بهذه المهمة اذا قرروا ان يعملوا ويتأثروا . ولان يصبحوا ذات يوم اذا عملوا ذلك الا والكتب والمجلات العلمية امامهم ، وحينذاك يفرحون بما قدمت ايديهم وما عملوا في سبيل التعريب .

اما ترجمة الكتب والمجلات فهذا امر صعب ، ان لم يكن مستحيلا ، وذلك لكثرة ما يصدر منها ، وان ظلنا متمسكين بهذه المسألة فلن نستطيع التدريس بالعربية او اللحاق بما يصدر . واي نفع بترجمة الكتب والمجلات كلها ؟ ان القسم الاعظم منها اصبح من المسلمات التي تخرز بها كتبنا المؤلفة او الترجمة ، ولم يبق امانا الا ترجمة الجديد الذي يغير قاعدة علمية او يصححها او يضيف جديدا . ولا نظن ذلك كثيرا تصعب متابعته وترجمته في هذا العصر الذي اصبحت فيه الترجمة الآلية قادرة على تقليد الصناعات ، ومتابعة التطور السريع .

ولعل الملاحظة الرابعة اقل صعوبة من غيرها بل لا تعتبر من المشاكل على الاطلاق عندما يكون العلم في دور نشاته ، وانه لن السهل اليسر متابعته ووضع المصطلحات له ، وبذلك ينشأ هذا العلم الجديد وتعد تهيأت له اسباب الحياة . وقد فعل العرب ذلك قديما ولم تكن امامهم مشاكل فيها وضعا او قويا ترجموا لان العلوم كانت جديدة وذات ابعاد محدودة فسيطروا عليها وساروا معها حتى ازدهرت وايضت .

وصفة القول ان هذه الصعوبات لا تعد مشاكل صعبة الحل ، فقد استطاع العرب قديما واستطاعت امم العالم كله في هذا العصر ، ان تذلل الصعاب وترسم الطريق ، ولم تضر سنوات الا واللغة الام تملو وتتطور ، والاساتذة يبدعون والطلبة يتقنونه .

التاسع : وتأتي اللغة الانجليزية في مقدمة اللغات التي ينبغي ان يتقنها الطلبة العرب ، لان ما ينشر بها في انحاء مختلفة من العالم يفوق ما ينشر بغيرها من اللغات ، وتأتي بعدها الالمانية والفرنسية والروسية .

والعناية باللغات الاجنبية ضرورية ، ولا ينكر قسيتها ، وليس المراد بالتعريب القضاء عليها او التقليل من شأنها . ولكي يكون المتخرج في الجامعة متقنا للغة اجنبية تؤهله للتخصص العالي في الخارج ، يفتح معهد للغات في الجامعة يكون النجاح فيه شرطا للحصول على الشهادة الجامعية . وبهذه الطريقة يتخرج

الطالب وقد اتقن العلوم والمالم كبيرا باللغة التي يريد اكمال دراسته بها .
العاشر : وجاءت ملاحظات الاساتذة العابة تتم على شعور عريق بالمسؤولية ورغبة اكيدة في تدريس العلوم بالعربية . ومجمل هذه الملاحظات :

(1) دعوة الاساتذة الى العناية بالعربية عناية كبيرة لكي يتمكنوا من التأليف العلمي فيها والمساهمة في وضع المصطلحات مساهمة فعالة ، لان التخصص بالعلوم والتمكن في العربية اقدر من غيره على تدريس المادة العلمية بهذه اللغة .

(2) ان البدء بتدريس العلوم بالعربية هو السبيل الموصل الى الهدف ، ولن نتكسب من غير ذلك تأسيس قاعدة راسخة تخدم العلم وتصور اللغة وتحترم الامة .

(3) ان شعوب العالم كلها تدرس العلوم بلغاتها ، ما عدا البلدان التي ابتليت بالاستعمار او التي لا تزال في قراراتها رواسية .

(4) ان الطلبة في الجامعات عرب ، وهم حينما يدرسون بلغة اجنبية لا يستوعبون المادة العلمية ، لان فهم اللغة يأخذهم ويستغرق طويلا فيضيع المهدف الاساسي من المحاضرات وهو المادة العلمية .

(5) القول بان الطلبة سيحتاجون الى اللغة الاجنبية بعد تخرجهم حين يعملون في الجامعة او البحث العلمي برود ، لان هؤلاء قلة ويمكن ان يدرسوا اللغة الاجنبية بعد تخرجهم بنجاح .

واوضح دليل على ذلك ان الدارسين بالانجليزية يوفدون في بعثات او منح الى الماتية او فرنسا او الاتحاد السوفيتي ، وهناك يعملون لغة هذه البلدان ويتقنونها ويقدمون بها رسائلهم العلمية .

(6) التدريس بالعربية لطلبة القسم التربوي اكثر ضرورة والحاحا ، لانهم سيدرسون بها في المرحلة الثانوية ، والصورة كما هي عليها في الجامعات الان لا تخلق مدرسا قادرا على الامادة العقلية .

(7) الجامعات التي استعملت العربية خرجت طلبة اكثر استيعابا وفهما لاسا درسه .

(8) ان اشاعة العلم ونشره واجيب قومي وانساني ، واللغة الاجنبية تحول دون

التجربة الجزائرية

في تعريب القضاء

الأستاذ أحمد مجحودة
رئيس مجلس الاستئناف بالجزائر

ليس هناك من شك في أن مدلول
كلمة « التعريب » له ازدواج في المعنى
بالجزائر :

المعنى الأول : يعني قبل كل شيء
العمل على استعادة اللغة العربية
مكانتها في الجزائر ، على الأقل كما
تحتل هذه اللغة مكانتها اليوم لدى
سائر الاقطار العربية التي لم تتعرض
الى ظروف تاريخية كذلك التي شهدتها
الجزائر .

وبهذا المعنى فإن الجزائر التي
تعرضت في الماضي وخلال مائة وثلاثين
سنة الى أبشع عملية طمس
للشخصية الوطنية ، ومن أوضاع
معالم اللغة العربية ، تبذل اليوم
جهودا مضنية وشاقة من أجل أن
يستعيد أطفال الجزائر نطقهم العربي

ذلك . ولكي تتحقق هذه المهمة لا بد أن
تكون العربية لغة التدريس ليستطيع
المخرجون التفاعل مع مجتمعاتهم وخدمته.
وأشار بعض الاساتذة الى ما يسهل التعريب في
أول امره ، ومن ذلك :

(١) الدعوة الى التدريس بالعربية في السنتين
الأولى والثانية ، ومن ثم اكبال المرحلة
كلها بعد وضع القواعد والاصول .
(٢) الدعوة الى تدريس مادة واحدة على الأقل
بالعربية لتكون مطلقا للتعريب .

(٣) الدعوة الى عقد مؤتمرات علمية توضع
الاسس وتتفق عليها الجامعات .
(٤) الدعوة الى انشاء مراكز علمية تتولى
التخطيط والارشاف على التنفيذ .

ذلك ما كان من امر الاستفتاء ، وبذلك اتضحت
كثير من الجوانب واصبح العمل يسيرا اذا صدقت
النية . وستتعدد كثير من المخاوف التي تعترى الباحثين
وسيجدون بعد حين أن جهودهم لن تضيع وانها
ستؤتي ثمارها . وقد سبقهم العرب قديما والاجانب
حديثا واستطاعوا أن يبدعوا ايها ابداع ويجددوا ايها
تجديد .

ان الدعوة الى تدريس العلوم في الجامعات
العربية باللغة القومية امر لا مخلص منه ، وان التعريب
لا يراد به خدبة العلم وحده ، وانما يسعى الى تحقيق
ثلاثة امور :

الأول : ان التدريس بالعربية قضية قومية تستحق
العرب كلهم وان الاعراض عنها تنكر للامة وطمعن
في اهم مقوماتها ، ومن استبدل لغة بلغته جسر
قوميته وفقد كيانه .

الثاني : ان التدريس بالعربية يدفع الى التقدم ويخدم
العلم ويخلق اجبالا قادرة على الفهم الدقيق
والطور السريع .

الثالث : ان التدريس بالعربية يشيع العلم بين الناس ،
فقد انتهى ذلك الزمان الذي كان العلم فيه ملكا
لطبقة خاصة . وكان الاسلام قد دعا الى العلم
منذ قرون ، وفضل الله الذين يملكون وكسرم
العلماء ، وهو ما تسعى اليه الشعوب الناهضة
في هذا العصر .

وبذلك لن يكون التعريب من نصيب اساتذة
العلوم او اساتذة اللغة وحدهم وانما هو من صنعهم
وصنع المجامع اللغوية والجامعات والمؤسسات العلمية
ومكتب التعريب واتحاد الجامعات العربية واجهزة
الاعلام ثم الشعب العربي ككلية لانه صاحب المصلحة
الحقيقية وله الكلمة الاولى والاخيرة في كل ما يقدم عليه
المعالون .

الجيل العربي الحاضر وأبلا عزيزا هو أقل ما يمكن أن يحققه هذا الجيل ، إذ عزت سبل الوحدة العربية .

ان الجزائر التي تخوض اليوم معركة التعريب ، تستطيع ان تقدم للميتين بالعربية حصيلة المشاكل التي تعترض العربية من ميدان التطبيق الخصب . وكما ذكرت سلفا غطى الـرغم من ان معركة التعريب لدينا تعني ان نستعيد لغتنا فان عملية الاستعادة هذه تعطي فرصة جيدة للارتباط بمشاكل اللغة ذاتها .

ان الطفل الجزائري الذي يذهب الى المدرسة في سنواته الاولى استطاع ان يطرح امامنا نحن الاباء ، مشكلة تعدد المسيمات للشيء الواحد ، فوليست المسألة مسألة مترادفات توجد في كل لغة ، ولكن الحقيقة هي ان الشيء الجديد الذي دخل حياتنا بفعل الحياة المعاصرة قدمت له اختبارات متفرقة من الاسماء في كل بلد على حدة . ومن الصعب ان يكون لنا اخوان عرب يساندون قضية التعريب كمعلمين في مدارسنا ، لكي تكمل الصورة طرافتها ، فعندما يتلقى التلميذ درسا من معلم من بلد كذا فيعمله ان الشيء الفلاني يسمى كذا . واذا تبدل المعلم وجاء آخر من بلد عربي اعطى التسمية المستعملة في بلاده .

المغايرة للتسمية الاولى :

ان النظرة الثابتة الى مسألة التعريب على مستوى الوطن العربي تؤدي الى ضرورة الايمان بتعمق فكرة وحدة المصطلح العلمي التي سادت في المدة الاخيرة ، لكي تصل الى وحدة المصطلح اللغوي بشكل عام ، فابان واقع وجود اشياء ومسميات جديدة دخلت الوطن العربي في سائر اقطاره يمكن لنا بحسب التساؤل عن اسباب طرح العناية بتوحيد هذه المسميات ، واتعمد النظر الجدية في هذا الموضوع . ومن أجل ان تعرف ابعاد هذه

ان الحقيقة التي يجب ان نكف عندها طويلا هي ان الجهود المبذورة لخدمة العربية لن تفيدها ، وان العرب في الوقت الحاضر اذا لم يستطيعوا ان يوحّدوا اقتصادهم او تشريعهم او سياستهم فانهم يستطيعون على الرغم من ذلك ان يزعموا بانهم عرب ، ولكن شيئا واحدا ينهم من التمسك في هذا الزعم ، وهو اذا لم يستطيعوا ان ييخّلوا كل مجهوداتهم الموحدة من أجل رفعة لغتهم وترقيتها ، وليس كافيا ان تبذل هذه الجهود فقط بل يجب ان تكون موحدة ، والمثل الذي تقدمه اللغة اللاتينية التي كانت تدمج أوروبا اللاتينية ، في وقت مضى ، خير دليل على صدق تخوفاتنا ، فقد انحدرت هذه اللغة من لغة تخاطب وكتابة الى لغة كتابة فقط ثم نمت في تفرعات محلية فانتجت لغات ثلاثا هي الإيطالية ، والفرنسية ، والاسبانية .

نعم ان كل عربي لا يملك الا ان يشارك مجهودات جميع اللغة بالقاهرة وبمشق وبغداد ويمتد بكل مؤسسة ثقافية حريصة على رعاية اللغة العربية ، ولكن كل عربي يأسف لان هذه الجهود قد تفتت في نطاق محلي ، بل واكثر من ذلك ان الكثير من هذه الجهود لم يتمدد الورق الذي كتبت عليه .

ان ظروفنا افضل تفصح اليوم للغة العربية بفضل وعي ابناءنا ، فكل عربي أصبح أكثر شغورا بالمسؤولية تجاه تطوير اللغة العربية ، وما لا ريب فيه ان هذه الظروف الطيبة والاستثارة الغيرة ، تستطيع ان تثير بجهود أكبر لخدمة العربية في كافة انحاء الوطن العربي ، فهل يجب ان تكون هذه الجهود مبذورة هنا وهناك ؟

ان اكاديمية وحيدة للغة العربية تركز فيها جهود كل العاملين من أجل رفعة العربية تبدو مسؤولية

السليم في مدارسهم ، ومن أجل ان تستعيد الادارة وكسل المؤسسات الجزائرية طابعها الوطني العربي الاصيل ، ولقد تحققت والحمد لله اشواط كثيرة ، الا ان الطريق ما زال طويلا لما يسيرة التعريب ، وما زلنا في حاجة الى المزيد من البذل والعطاء ، والكد .

المعنى الثاني : ينبع من معطيات الثورة الجزائرية ، التي اعلنت عن هويتها العربية في اكثر من مناسبة وانطلاقا من هذا فان السلامة الثورية في البلاد لا تعمل فقط على استعادة اللغة الوطنية مكانتها وانما تواجه ان تساهم مع كافة الاشياء في العمل على تطوير اللغة العربية وهذا هو ما قصده الاخ الرئيس في خطابه الاخير امام المدرسة الوطنية لادارة حيث اعلن عن انشاء المدرسة الوطنية للطارات التي سيكون من ضمن مهامها العمل على ترقية اللغة العربية وجعلها في مصاف اللغات الحية .

المعنى الاوسع للتعريب :

على الرغم من ان الميدان الذي سالتق الى يتعلق بالتجربة الجزائرية في تعريب القضاء ، فاني سوف اسبح لننسي ان الاسم مشكلة التعريب ككل كما تواجهها اليوم الامة العربية .

ولست في حاجة الى التذكير بان البلاد العربية اليوم مهما بلغت من سلم التعريب تواجه هذه المشكلة ، لان قضية التعريب اخذت مدلولاً جديداً يغادere استعادة اللغة العربية كالمعنى لدى بلاد المغرب العربي ، التي تعرضت أكثر من بلاد المشرق الى عملية المسخ الثقافي ، والحقيقة ان مشكلة التعريب كانت قد طرحت منذ القديم ازاء الغزو التكنولوجي والعلمي الذي اكتسب القوام في بداية هذا القرن وغني عن القول ايضا بان مسؤولية تطوير اللغة العربية وتوحيدها تقع على كاهل ابناء هذه الامة جميعا .

ان لا تتوقع ان يعيش الذي وقع
 الاصطلاح عليه للمسمى الجديد .
 والحقيقة ان العربية لم تائف في
 الماضي من قبل عن قبول الفاظ
 اجنبية بين جوانها وهذا —
 خاصتها ، الا ان الاكتساح الحالي
 للغات الاجنبية تحت سمار ما يشكل
 بظهر الغزو الثقافي وتزاحم عدد
 المفردات اللغوية المطلوبة مع امكانية
 تختها من العربية بواسطة التوليد او
 الاشتقاق او حتى الاختراع ، جعل
 من فكرة الداعمين بقبول هذه الالفاظ
 الاجنبية الوفرة العدد في موقف مائع .
 والغريب ان المواطن العربي بدأ
 يشهد اليوم لونا اخر من الكتابة
 والاسلوب بتأثير ازدواج اللغة لدى
 بعض الكتاب الشبان الذين يرغبون
 في البروز بنقل رشاقه التفكير باللغة
 الاجنبية الى اللغة العربية بتناسيل ان
 لكل لغة عبقرتها الجمالية الخاصة
 بها ، ووعاها الخاص لترجمة
 انتراجات التعبير .

المجابهة الجزائرية في تعريب القضاء:
 ان القضاء الجزائري ، واجه
 مشكلة التعريب ايضا في جاباهتين ،
 مجابهة داخلية مادتها البناء من القوم ،
 ومجابهة على مستوى اللغة العربية
 ذاتها .

ومن المعروف ان الاستعمار
 الفرنسي في الجزائر لم يكتشف بيت
 اللغة الفرنسية فقط بل خاض حملة
 التشكيك في قدرة اللغة العربية على
 تأدية الوظائف الحياتية ، واطلاقا
 من هذا الميدان ، ومع بعض التردد
 في الحقبة الاولى للاحتلال ، سبق
 اختصاص القضاء الجزائري الذي
 كان شاملا ويصدر من قاضي سردي
 تحت طائلة الاستئناف لدى السراي
 ضيق من اختصاصه لخلق اللغة
 العربية التي كان القضاء الجزائري
 اخر حصن مقاوم لها في الجزائر بعد
 القضاء عليها كلفة الدولة والادارة
 والتعليم ومن خلال هذا الاختصاص

العربية الاخرى هو اختلاف الاسماء
 التي تعطي للمسميات الجديدة وقد
 يكون دليلا على رجاحة هذا التخمين
 ان اسماء كالسيارة — والهاتف —
 والتفكرة — والانبوب تعتبر كلمات
 فصيحة مستعملة في كافة انحاء الوطن
 العربي لان العربية لم تتعرض
 لعمليات حلب او توليد متعددة .
 ذكرت فيما سبق بفضل المجامع
 اللغوية العربية وبعض فقهاء اللغة
 العربية الاجلاء الذين اعطوا الكثير
 من حياتهم من اجل ترقية لغتنا ،
 ولكننا يذكرون انه قرأ اذا لم يكن قد
 عاصر المساجلات الادبية التي كانت
 ثائرة حول هذا الموضوع بين تيار
 انصار التعريب وبين تيار انصار
 اللغة العامية التي يطلقها الشارع
 على الشيء المستحدث ويوقف
 المجمع اللغوي بالقاهرة الذي كانت
 بعض مفرداته المختارة مثالا لتكتيك
 بعض الصحافيين والادباء ، ومن
 المؤسف ان لا تكون اعمال هذا المجمع
 قد نشرت على نطاق واسع يمتدى
 حلقات الباحثين ، وكما تنوق النفس
 لرؤية معجم مفهرس للالفاظ
 المستحدثة في العربية .

مطبوع طبعة تجارية :

اذا كتب لنا في يوم من الايام ان
 نوحده هذه المجهودات فسوف يبقى
 عملنا محتاجا الى عملية اخرى وهي:
 عملية الالتزام بالمصطلح الموحد وهذه
 هي المشكلة الثانية للتعريب بالمعنى
 الواسع .

ان الحديث عن الالتزام بالمصطلح
 الموحد ، يجعلنا نفكر في اجهزة
 اعلامنا التي تلعب دورا بالغ الاهمية
 في هذا الميدان ، فاذا كانت دار
 الاذاعة المرئية تسمى نفسها دار
 التلفزيون فيجب ان لا يتوقع ان
 يسميها احد بهذا الاسم المعرب واذا
 كانت صحافتنا تعتمد الى وضع
 اسماء الاشياء المستحدثة بين قوسين
 باللغة الاجنبية وباحرف عربية فيجب

المسألة يمكن لنا ان نتصور العادة
 التي يتعرض كاتب القصة العربية
 او المسرحية المعاصرة ، فالكاتب
 الذي يصور بيئة ما يصطلم بمشكل
 المسميات للمستحدثات العادية من
 الاشياء والقوى السائدة في هذا
 المجال .
 ان اللغة العربية التي عرفت منذ
 القديم باب التوليد ، وبرهنه على
 قدرات فائقة المرونة ، تشتت اليوم
 في مطالبها بان تعطينا اسماء عديدة
 بعدد الاقطار العربية لمسه واحد .
 ان ظاهرة انعدام إحدى المصطلح
 تبدو جليلة واضحة في المناجسد
 والتواييس التي صدرت في الحقبة
 الاخيرة بلغتين ، فكل قاموس يعطي
 للمسمى الواحد اسما يختلف عن الاسم
 الذي يعطيه قاموس اخر ، وقد
 حصل حتى في معاجم طبعت في بلد
 عربي واحد . فني غيبة اكاديمية
 عربية للغة على مستوى الوطن
 العربي لتشر على ما له اتصال
 باللغة العربية سوف تبقى حالسة
 الابهام هذه مستمرة الوجود .

قد يظن البعض ان هذه النظرية
 مفرطة في تضخيم المشكل ، وان من
 الممكن اعتبار المصطلح الذي يولد
 في مصر مرادفا للمصطلح الذي يولد
 في المغرب او الجزائر ، او لبنان ولكن
 من يضمن استعمال المصطلح المغربي
 في مصر حتى يعتبر مرادفا ؟ واي
 جهد هذا الذي نطالب ببذله في حفظ
 المترافعات لمسى واحد في عصر
 السرعة ؟ وكيف سواجاه الاجنبي
 الذي يتعلم لغتنا الحصيلة الفروية
 للمفردات اللغوية الانسانية ؟ بل
 كيف تفعل الجزائر مع جيش الموظفين
 الذين يتعلمون العربية الان في ديارهم
 تهيدا للتعريب الكامل لادارة
 الجزائرية زيادة على اعمالهم اليومية ؟
 وفوق ذلك من يدري فقد يكتف
 احصاء لغوى ما يجري في المستقبل ،
 ان من اسباب نمو اللهجات المحلية
 العربية وابتمادها عن اللهجات

القانونية التي تنظمها .

كيفية الجابطة :

« فت الحائت تارين ومرحلتين لتعريب القضاء :

فهي المرحلة الاولى ساد تيسار الحذر ، ووقع الاهتمام بجزارة الاطارات وتحددت معالم التعريب كما يلي :

١ - تعريب مادة الاحوال الشخصية في كافة المحاكم .

٢ - تعريب شامل لادارة مجلسين قضائيين في كل المواد .

٣ - تعريب المناقشات والمرافعات داخل قاعات الجلسات . وقد سادت

هذه المرحلة حتى السنة القضائية ١٩٧١ - ١٩٧٢ حيث بدأت بمعلبة

التعريب الشامل للقضاء فهل تحققت الامكانيات البشرية والمادية للتعريب

في هذه السنة حتى يقع اقدام على هذه العملية التي ما زالت تعد جريئة؟

الجواب : كلا لقد تصنعت الظروف بعض الشيء ولكنها لم تتغير كلية .

واسباب ذلك ان الاطار الذي تزود به القضاء الجزائري بعد رحيل

الفرنسيين والمعد الذي تخرج في كلية الحقوق كان اكثر اطارفرنسي لا

يعرف العربية الا بقدر قليل ، واضاف الى هذا فان هذا الاطار يمثل في اغلبته

الشباب . فهل كان من اللازم انتظار جيل جديد ليقوم بتعريب القضاء ؟

ان منطق الثورة الجزائرية لم يعدم رجائه ، وفكر المسؤولون في وزارة

المعدل بان الثورة الجزائرية عندما قامت اول نوفمبر ١٩٥٤ لم تكن قد

استكلت كل ما تتطلبه من عناصر النجاح وتجمع الامكانيات ، ومع ذلك

فمجرد انطلاق الشراة الاولى للثورة وجدت هذه مناخها الطبيعي الذي

عاشت فيه ، وكذلك الامر في تعريب القضاء بدلا من انتظار اكتمال توفر

الامكانيات يجب ان يشرع في التعريب الشامل لتفوق على السطح مشاكله وشرع في علاجها واحدة .. واحدة ..

خاض غمار حرب التحرير بكل ما في قلبه من شوق للمعدل الجرد ، وجهه للشخصية الوطنية ان يصدم في كبريائه في قاعات الجلسات

الوطنية وهي تصدر باسمه وبلغة المستعمر احكامها . وقبل ان تخطو

وزارة العدل خطاها في تعريب القضاء كانت المحاكمات الجزائرية

التي جرت في فترة من الوت بلغة الفرنسية تمثل بحق عسق مأساة

الثقافة الوطنية فالمقتاضي الذي هو في اغلب الاحيان لا يفهم الفرنسية

كان يتفرج على نظر قضيته او محاكمته كما يتفرج على مسرحية

اجنبية .

٢ - ان حرمان القضاء اكثر احتكاكا بطبقات الشعب ففي هذه

الادارة المعدلية تطرح مشاكل الشعب اليومية ، حتى انه يمكن القول ، ان

امراض المجتمع يمكن ان تشخص من خلال عرض القضايا امام العدالة

وامام قضاء واع ولتزم يمكن رؤية ابعاد الاستغلال ، وانعدام العدالة الاجتماعية عبر الملفات المعروضة ،

ودور خطير كهذا لا يمكن ان يلعبه القضاء اذا لم يكن ناطقا بلغة الشعب .

٣ - ان التخوفات من التعريب التي كانت سائدة في الادارات

الجزائرية والمؤسسات العلمية ، بجهة وجود تشككات في قدرة العربية

ذاتها على مسايرة المستوى الحضاري والتكنولوجي الذي وصلت اليه البلاد

غير واردة بالنسبة لتعريب القضاء لان اللغة العربية ثرية في هذا الميدان

وخاصة في مؤسسة الحقوق المدنية.

٤ - ان التخوفات البنية على ان التعريب سوف ياكل من الجهد

البذول في معركة البناء ، لا اساس لها ايضا منذ الحديث عن تعريب

القضاء ، نظرا لان القضاء غير مكلف بادارة مكاتب التخطيط او انجاز

مشاريع البناء ، وان ارتبط بمصريا بضرورة رعايتها وحماية المؤسسات

الذي بقي للقضاء في مادة الاحوال الشخصية تحت اطار الهيكل العام الذي سمي : « القضاء الاسلامي »

مقابل القضاء الفرنسي الذي تحولت اليه الاختصاصات من جزائية ومدنية

عقارية وتجارية وادارية ، وفي كل ذلك كانت اللغة الفرنسية هي اللغة

المستعملة . وهكذا فان الاستعمار الفرنسي لم يستطع ان يستمر في

سياسة المسايرة التي يفهمها في الفترة الاولى تجاه القضاء خشية من

اثارة الشعور بالتحدي لدى الاهالي الذين كانوا ينصبون حالة قدسية

للقضاء الذي كان يعتمد اعرافهم وقواعد الشريعة الاسلامية .

وعندما جاء الاستقلال في ٥ يولييه ١٩٦٢م واجهت الجزائر مشكلة الفراغ الهائل في الاطارات الذي خلفه

الرحيل الجماعي للفرنسيين واجهت في جملتها ما واجهت ، مشكلة تعريب القضاء .

لم يكن عدد القضاء الجزائريين في ميزان القضاء الفرنسي يتجاوز عدد

الاصابع ، وكانت مشكلة تعريب القضاء مطروحة بشكل اكثر الحاحا

من مشكلة تعريب الادوات الاخرى ، فكيف كان اقدام على هذه العملية

الجريئة ؟

مما لا ريب فيه ان تخوفات كبيرة كانت تحف بالموضوع فزيادة على

انعدام الاطارات فان العربية لم تكن قد استعملت في القضاء الجزائري ما

عدا الاحوال الشخصية لمدة مائة سنة تقريبا . وان بدلها الفرنسية

قد جاءت بفتنات عصريه ومحددة تعود الناس عليها والفوها ، ومع

ذلك وكما قلت فان دواع كثيرة كانت تطرح مسألة تعريب القضاء كحطليب

سريع .

١ - ان القضاء الجزائري ككل نظام قضائي اخر يلتمح بالسيادة

الوطنية ، ويرتبط ارتباطا وثيقا بوحدات الشعب وضميره ، وفوق ذلك كان من المحتل امام شعبنا الذي

لقد بدأ التعريب الشامل ابتداء من السنة القضائية ١٩٧١ - ١٩٧٢ بتعريب الاحكام والقرارات ، ثم تبعه تعريب التقارير الفصلية والمراسلات ، وانتهى اللطف بتعريب مصالح الادارة المركزية . فما هي الوسائل التي جندت للمساعدة في عملية التعريب وما هي المشاكل التي طفت على السطح ؟

١ - قررت وزارة العدل،تنظيم دروس بالعربية للقضاة السّذين يجهلونها داخل المحاكم والمجالس القضائية مرتين في الاسبوع اثناء اوقات العمل .

٢ - قررت ايضا تنظيم دروس ومحاضرات في القانون باللغة العربية بمعدل مرتين في كل شهر والفرص من هذا تعويد الموظف القضائي على استعمال اللغة العربية .

٣ - انشاء مركز التكوين القضائي بالدار البيضاء قرب العاصمة يربطه القضاة والكتاب في فترات تدريبية لمدة اربعة اشهر ، وهو مزود بمجلد لغوي يحتوي على الالات السمعية والبصرية وتلقى فيه دروس مدرجة بالعربية ومحاضرات في مختلف فروع القانون باللغة العربية .

٤ - طبع القوانين التي صدرت حديثا بعد الاستقلال باللغتين العربية والفرنسية .

٥ - طبع معاجم لغوية مصغرة بالعربية والفرنسية لاعانة الدارس على التزود بالفردات اللغوية .

٦ - استعمال العربية المشكولة في النشرات والطلبات التي تصدرها الوزارة .

وما ان وضعت هذه الامكانيات في التداول ولم تك تدبر سنة واحدة على الشروع في التطبيق حتى بدأ عسدد لا بأس به من الازلام التي كانت تكتب من اليسار الى اليمين ترتد لكتبت من اليمين الى اليسار .
اننا لا نقول بأن النجاح كان كلاما،

أو ان كل المشاكل قد تم التغلب عليها، ولكننا في وضعية تسبح لنا بأن نقول بأن تجربة تعريب القضاء كلية قد اعطت ثمارا طيبة ومشجعة بالقياس الى الامكانيات المتوفرة .

حصار المشاكل :

ان المشاكل التي ثارت بعد عملية التعريب الشامل تتمثل في نوعين مشاكل ذات طبيعة محلية ، ومشاكل ذات طبيعة غنية ترتبط مع ما يسمى الان بمشكلات اللغة العربية .

المشاكل المحلية :

١ - ان العدة الوظيفية المعربة لا تزال قليلة ، وعملية تحول الموظف القضائي الفرنسي الى مغرب وان كانت بصدد التحقيق الا ان ذلك يتم ببطء فيما للظروف الخاصة بالموظف ولذلك فقد زاد عبء الموظف القضائي المزدوج اللغة او المغرب الذي اصبح عبءا في كل محكمة ، نبالاضافة الى واجبه في العمل عليه عبء مساعدة زميله الفرنسي في تعريب نفسه .

٢ - ان الفكرة التشريعية التي ورثناها من العهد الاستعماري والساري العمل به الانيا يتعارض مع السيادة ، غير مترجمة الى العربية ولو انها كانت كذلك لاثرت بمصطلحاتها المكتبة الحقوقية العربية . والجزائر في هذا المضمار على موعد مع ٥ يوليو ١٩٧٥ لانتهاء العمل بقانون ٣١ ديسمبر ١٩٦٢ الذي مدد انفاست التشرع القديم .

٣ - ان القضاء الجزائري الذي سبق الادارات الجزائرية الاخرى في ميدان التعريب قد اصطدم بمشكلة الاتصال بالادارات الاخرى التي لم يتقدم فيها التعريب بعد ، غير ان هذه المشكلة قد عادت بالخبر في النهاية على تقنية التعريب ككل لان مراسلات واحكام القضاء المغرب ، اشعرت الادارات الاخرى بجسدية مسيرة

التعريب وحفزتها لبذل مجهودات اكثر .

٤ - ان تعريب القضاء نهائيا يرتبط بادارتي الامن والدرك الوطني الذي يهونهما سيكون تعريب القضاء سطحيا ، وما زال التعريب في هاتين الادارتين في خطوانه الاولى اذ تخرجت في مدارس الدرك الوطني وحتى الان وحدات غير كافية باللغة العربية ، وبقاء التحقيقات الاولى بالفرنسية ، يشل من قدرة الموظف القضائي المغرب وحيد اللغة الذي بدأ يأخذ مكانه في الادارة العدلية الجزائرية .

المشاكل الفنية او العربية :

اذا كانت لغة الحياة العابة قد طرا عليها تبدل كبير تبعاً لانتساح التقدم الحضاري والفني والعلمي من جراء ما دخل عليها من مسميات مستحدثات كثيرة ، فان لغة الحقوق والاقتصاد والادارة يتأثر بمستوى هذا التقدم الهائل الذي غزا العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في العصر الحاضر قد عرفت بدورها نموا مطردا في المفردات اللغوية لكل مادة تهاجا كما يحدث الامر تقريبا في ميدان العلوم والتقنيات ، ومن الغريب ان العرب الذين انتبهوا الى هذه الظاهرة منذ القديم وتفكروا مع شيء من التأخير في عقد مؤتمرات لتوحيد المصطلحات العلمية،لم يضمنوا جدول أعمال هذا المؤتمر الدوري نقطة في جدول أعماله لتوحيد المصطلحات الحقوقية من ادارية وتجارية ومالية واقتصادية وجزائية وغيرها ، وكما هي انية عزيزة على ألسنتهم ان توفق وزارات العدل العربية في يوم قريب الى دعوة لعقد مؤتمرات لتوحيد هذه المصطلحات .

وان ما سبق ان اسلفته عن بعثرة الجهود في خلق او توليد المصطلحات اللغوية العادية ، يصدق على بعثرة الجهود في خلق المصطلحات الحقوقية المستحدثة وبمراجعة سريعة وخاطلة

قانون الإجراءات الجزائية (ولكي نكون فمفوما من طرف الجميع من هذه الكلمة فقط ، يجب ان اتول ان المسطرة الجنائية (تعبير مصري) اصول المحاكمات الجزائية (سوري) او مجلة المرافعات الجنائية (تونسي) او المرافعات (مصري) وقانون العقوبات (او القانون الجنائي - او القانون الجزائي) ولو اتفنا حصرا بكل المصطلحات التي جاءت بها هذه المؤسسة مع العبارات المستعملة والتي ترجمت لها في العربية لتكون بمثابة مصطلحات لها ، لوجدنا زيادة عن تعدد المصطلحات للبدلول الواحد كما ذكرت في عرض المشكل التقني الاول ، انه يوجد تداخل في الدولوات وهذا هو المشكل الثاني عدم الثقة والانضباط ولناخذ المثال التالي :

لقد جاءت المؤسسة الحقوقية الجزائية التي استوردناها بالعبارات التالية :

(١) — Ordonnance

(٢) — Ordre

(٣) — Mandats de Justice

وجاءت ايضا العبارات التالية :

(٤) — Arrret

(٥) — Arrêté

(٦) — Réquisitionnaire

في المجموعة الاولى من الكلمات الاجنبية تدل معظم المعاجم الحقوقية العربية على ان ترجمة الكلمات الثلاث ممكن تكلمة (امر) او امر العدالة ولكن المشكلة ان هذا صحيح على مستوى الترجمة اللغوية العادية ، وغير صحيح في لغة المصطلحات لان في اللغة الحقوقية الفرنسية التي استوردنا معظم موادها القانونية توجد دلالة خاصة لكل كلمة ، وسيترتب على الخلط بينها الوقوع في اخطاء قضائية كسالة التقاضيية للاستئناف او عدمه بين الكلمة رقم (١) والكلمة رقم (٢) وفي هذا المجال اذكر ان الحقوقيين في سوريا

الاول : ان الموظف القضائي العربي في البلاد التي لم تسدها ظروفها كالتى عرفتها الجزائر ، ان هذا الموظف يستطيع ان يجد بسهولة البديل للمصطلح الذي يرغب في التعبير عنه بصورة مؤقتة ، ولو ابتعد عن الدقة والانضباط العلمي .

والثاني : ان شيوع اللغة الفرنسية في الجزائر والتصميم على ان تستعيد اللغة العربية مكانتها ، جعل من جهة حيلة التشكيك في قدرات اللغة العربية التي عرفتها قديما ، ببلاد عربية اخرى ، تطفو على السطح وتفتح المجال من جهة اخرى لخلق موجة من المغاربات اللغوية في الدقة والانضباط بين هاتين اللغتين .

ان اللغة الحقوقية والقضائية العربية الحالية تعاني من مشكلة اخرى هي فقد الانضباط والدقة في المدلول مع ان اللغة العربية تقدم امكانيات هائلة لاستيعاب المسيمات الجديدة باستعمال افضل المدايل في المترادفات ولكي اكون اكثر وضوحا اود ان اتول :

ان المؤسسات الحقوقية والادارية والتجارية تعتبر في الامم الاغلب ومن حيث الهياكل الشكلية مؤسسات مستوردة او مستوحاة من النظم المصرية الغربية .

وبطبيعة الحال فان استيراد هذه المؤسسات الحقوقية قد تطلب استيراد قطع غيارها اذا صح التعبير ، واعني بذلك المفردات اللغوية التي تتطلبها هياكل المؤسسة ، ومن الواضح ان هذه المفردات اللغوية قد يكون اغلبها موجودا في اللغة العربية ولكن اذا وقعت الترجمة الحرفية ، فقد ينصرف بمدلول الكلمة الى المعنى الاصطلاحي الجديد المراد .

ولكي اضرب عن ذلك مثلا ، اتول ان مؤسسة الحقوق الجزائية ، تعتبر مستوردة في معظم البلاد العربية من النظام الفرنسي وعباد هذا النظام

للمؤسسات القانونية الضخمة التي نبت الان في الوطن العربي ، نجد الفروق الصارخة ، فلو قيل لمصري ما معنى المسطرة المدنية لا يمكن ان لا يفهم شيئا واذا قيل لسوري ما معنى مجلة الطرقات لظن ان الامر يتعلق بمجلة شهرية تعنى بشؤون الهندسة المدنية والجنور . الى غير ذلك من المغارقات التي كان من الممكن تفاديها باقل جهد موجد .

لقد اقتصرنا على ذكر هذه الامثلة القليلة وهي عبارة عن نزر يسير جدا من بحيرات متعددة وكبيرة اما لو دخلنا في اعطاء بعض التفاصيل عن هذه المغارقات فنيا يتعلق بالمصطلحات الادارية والمالية والاقتصادية والجرمكية فاني قد اخطار بانظار بسخة تشاؤم لان المسألة لم تعد مسألة مقاومة العاصيات العربية المحلية ، بل يحق لنا التساؤل اذا كنا امام ظاهرة نمو عربيات فصحي .

فاذا كان موظف الادارة الليبي يحتاج الى مجهود لفهم مصطلحات الادارة العربية او الجزائرية فكيف يكون موقف المواطن الليبي الذي تعود اسلوب ادارته اذا ذهب الى العراق او الجزائر ؟

ونحن في الجزائر نعاني الكثير في تجربتنا لتعريب من هذه المشكلة فهل ننهي مصطلحات دولة عربية معينة ام نعمل كغيرنا ونخلق مصطلحات عربية جزائرية ونزيد من شقة التباعد اللغوي ؟

ان الموظف القضائي الجزائري الذي يبذل تضارى جهده في تعريب نفسه ، وينفق من وقته الكثير في التزود بالمفردات اللغوية قد اطلع على هذه الشفرة الكبيرة عبر القواميس الحقوقية ، المطبوعة بأشكال مختلفة في البلاد العربية .

لقد قلت ان هذه النظرة قد تبدو مغرطة في التدقيق من قبل بعض الاخوان الذين لم يعيشوا ظروفنا كظروفنا وهذا لسببين :

اعطوا كلمة (مذكرات العدالة) كترجمة للكلمة رقم (٣) ولكن وقعوا في خلط مع كلمة أخرى مصطلح عليها وهي : **Les Mémoires** وهي العبارة المصطلح عليها لغويا وقضائيا : بالذاكرة التي يقدمها المحامي عادة لفائدة موكله . وبالنسبة للجموعة الثانية يوجد

المشكل ايضا فالترجمة اللغوية العادية تعطي للاسماء الثلاثة اسما واحدا هو قرار . والحال ان هناك فراغ كبير بين الاسماء الثلاثة في المدلول الاصطلاحي فالاول : يقصد منه المقرر الذي تتخذه السلطات الادارية ، والثاني : حكم قضائي صادر في جهة استئنافية ، والثالث : الطلب الذي تبديه النيابة في جلسة جزائية للمطالبة بمقوبة على متهم . قد يقول قائل : ان في الامكان ايجاد هذه التحديدات في الدلولات بخلق مصطلح يتألف من جملة وضعية كالتقوى بالقرار الاداري او القرار القضائي او قرار النيابة .

وقد يكون هذا رأيا صائبا الا انه يبعد عن التضيق المرجو للعربية في ميدان التعبير العلمي ، وقد يكون افضل منه ان نبحت في مترادفات الكلمة ، ونكسر لكل واحدة منها مدلولها علميا ، وبلاستعمال والتكرير يثبت المصطلح العلمي . والابثلة على هذا التداول ايضا هي الكلمات التالية :

(١) — **Inculpé**

(٢) — **Accusé**

فالترجمة العربية تعطي اسما واحدا مقابلها وهو المتهم والحال ان المؤسسة الحقوقية الجزائية التي استوردناها تفرق الاثنين ، فالكلمة رقم (١) تعني مجرد توجيه التهمة الى شخص تجعل منه متبهما ، والكلمة رقم (٢) تعني المتهم الذي احيل بقرار قضائي لغرفة الاتهام للمحاكمة امام محكمة خلية هي المحكمة الجنائية .

وهنا النوع من المشاكل ليس من

النوع الذي يتطلب جهودا خارقة للتغلب عليه لان اللغة العربية كما كتبت اتقوت تنبت بقدرات فائقة ولا ينقصها الا توحيد جهودنا من اجل رغبته وعزتها . ان عملا عربيا منسقا ويوحدا في هذا الميدان يستطيع ان يوقف تيار الغزو الفكري والغفوي الاجنبي الذي اصبحنا

نشاهد خطره في موجة التسامح التي اصبح بعض كتابنا العرب لا يخفونها في كتابهم بقولهم الفاظا اجنبية بحثة لتصبح كلفردات شائعة ومتداولة . ثم ان اهبة العمل الذي نقوم به تكن في حقيقة خالدة هي ان وحدة اللغة ، تعني وحدة الفكر ، ووحدة الفكر تعني وحدة المصير .

من مستلزمات التعريب

مشروع انشاء كلية التعريب في الجامعات العربية

للكوثر / كمال عبدالله القيسي

كلية العلوم — جامعة الكويت

تقديم :

قد يفهم من الدعوة الى انشاء مثل هذه الكلية في الجامعات العربية ان تتولى هذه المؤسسة الاكاديمية الجديدة نفس المهام التي تتولاها عادة كليات اللغات او اقسام اللغة العربية وادابها . وعلى الرغم من ان هذه الكلية (اي كلية التعريب) قد تسير جنباً الى جنب لتحقيق بعض الاهداف التي تسعى اليها المؤسسات الاكاديمية والعلمية التي تعنى بشئون اللغة وبالاخص من ناحية الارتكاز على خلفية صلبة وعريضة للغة وادابها بالاضافة الى ممارستها الفعلية لدعم اللغة العربية وتعليمها

بفروعها المختلفة ، الا انه يمكن القول بأن كلية التعريب هي المؤسسة الاكاديمية التي تهتم بكل ما يتعلق بشئون التعريب والاعداد له ويتبل هذا الاهتمام بالدرجة الاولى في اعداد الخريجين من الدارسين في هذه الكلية ومنهم الدرجات العلمية المتخصصة التي تؤهلهم لممارسة العمل في مجالات التعريب وتبكتهم من تحقيق مستلزماته عند عملهم في مؤسسات الدولة المختلفة .

الاسباب الموجبة لاستحداث كلية

التعريب في الجامعات العربية :

نظرا لما تبديه بعض حكومات

(١) يشيل لفظ « التعريب » هنا كل ما يتعلق بميليات الترجمة والنقل الى اللغة

العربية وبالعكس .

الانطار العربية والمؤسسات المختلفة في عالمنا العربي من اهتمام بالغ وصادق خلال الحقبة الأخيرة من الزمن في جعل اللغة العربية للسان المبرر عن الاطار الفكري العلمي للفرد والجامعة واعتبار هذه اللغة أداة مهمة من أدوات التفكير والتعبير بالنسبة للمواطن بحيث يستطيع استخدامها والتعامل بها في المجالات التي تتعرض الى استخدام اللغة العلمية ومصطلحاتها واحلالها محل اللغات الاجنبية .

ونظرا لوجود بعض العوائق الاساسية التي تجعل هذا المطلب غير ميسور التحقيق بسبب عدم توفر الاعداد الكافية من العاملين المتفرغين من ذوي الاختصاص والقادرين على تنفيذ الخطط الخاصة بالتعريب ومناعبتها في المجالات العلمية والادبية والفنية .

ونظرا للتصارع الشديد الذي تواجهه المدنية المعاصرة وتفجر المعلومات في مجالات العلوم المختلفة النظرية منها والتطبيقية مما يستدعي تجنيد القوى البشرية الهائلة وتوفير الطاقات العالية لمواجهة هذا الزخم الكبير من التقدم المطرد في المخترعات والمكتشفات ومتابعة كل مبتكر في العلم وملاحقة كل جديد من المصطلحات العلمية والتقنية .

ولما كانت حاجتنا الى العناية الطبية المتطورة مثلا قد استدعتنا في السابق وتدعونا دائما الى انشاء كليات الطب للحصول على الاطباء الاختصاصيين من اجل رفع المستوى الصحي للبلاد والحفاظ على البقاة البدنية والعقلية والنفسية للمواطنين او ان حاجتنا الى التصميم والانشاء وال عمران قد استدعتنا ايضا الى انشاء كليات للهندسة بحيث ادى ذلك الى خلق جيل من الفنيين والصناعيين الذين يلون متطلباتنا في مجالات

ال عمران والصناعة ، فكذلك الامر بالنسبة للتعريب اذ اننا نعلم اليوم أزمة شديدة ونصا ملحوظا في عدد العاملين من ذوي الكفاية العالية في مجالات التعريب . اذ ان بالامكان ان يصبح التعريب في عالمنا العربي وبصورة دائمة مهنة ، بل نجعل منه حرفة وصناعة وفنا يرتبط بها مصير الفرد طيلة حياته كما ترتبط حياة الطبيب بمهنة الطب او المهندس بمهنة الهندسة ، عالمنا العربي يقف اليوم على مفترق طرق وتستدعي مرحلته الحاضرة والمستقبل العبيد اعداد جيل من الاختصاصيين في الترجمة العلمية والفنية يقوم بنقل الافول المؤلفة من الكتب والمشتورات في اللغات الحية المختلفة الى لغتنا العربية بحيث يجعل منها لغة تواصل العلم والتقنية المعاصرة وكذلك يتولى هذا الصنف من الناس مواكبة الحركة العلمية والادبية والفنية في عالمنا العربي بحيث يستطيع ان يساهم في تطوير لغتنا العربية واصنافها مما تحتاجه من مصطلحات علمية وتطبيقاتها بكل جديد متناسب وكذلك العمل على نقل المفيد منها الى اللغات الأخرى بحيث يتحقق من هذا العمل الامتياز البناء بين اكبر عدد ممكن من البشر الذين يتطلعون الى الخير والتقدم والرفاء في شتى انحاء المعمورة .

كما ان وجود مثل هذه الكلية (اي كلية التعريب) ضمن الجامعة في عالمنا العربي سيعطي الاهمية والوزن الثقيلين لقضية التعريب ويسلط الضوء عليها بحيث يجعل منها هدفا ساميا للكثير من شبابنا الذين يبحثون لهم عن مستقبل افضل يخدومون به امتهم ووطنهم .

ولا نكون مغالين اذا قلنا بان مهمة التعريب اصبحت اليوم لا تقل عن مهمة الدفاع عن الوطن وحماية

مقدسات الامة التي يعدم من اجلها طلبة الكليات العسكرية في وطننا العربي .

من اجل هذا وذاك انتضت الدعوة الى انشاء كلية باسم « كلية التعريب » في كل جامعة عربية ، مع مراعاة ان الانسقة لانشاء كلية تعريب واحدة في البداية بحيث تستكمل جميع متطلباتها الاساسية لتكون نموذجا حيا يحتذى به عند المباشرة بتصميم انشاء كليات اخرى للتعريب في الجامعات العربية ... وبذلك نستطيع القول باننا خطونا فعلا خطوة ايجابية بناء .. نحو دمج مشاريع التعريب وبعت اللغة العربية من جديد لتؤدي رسالتها ودورها الحضاري المشرف بين اللغات الحية في مجال البناء والتعمير .

الدرجات العلمية التي

تنبها كلية التعريب :

لا بد من التأكيد على منح الدرجات العلمية التخصصية على خريجي كلية التعريب بحيث تكون موازية في الحقوق والامتيازات لدرجة خريجي الكليات الجامعية الاخرى وبالاخص كليات العلوم والهندسة والاداب ، كان يمنح الخريج لهذه الكلية بعد اربع سنوات درجة بكالوريوس علوم او ليسانس اداب في التعريب على ان يحدد موضوع التعريب الذي يمكن ان يمارسه الخريج في حياته العملية . مثال ذلك ، التعريب في علوم الحياة، او التعريب في العلوم الهندسية ، او التعريب في الرياضيات او التعريب في الطبيعة ... الخ .

كما يمكن لهذه الكلية ان تسهم للدراسات العليا في التعريب فتمنح درجة الدبلوم الخاصة او الماجستير او الدكتوراه .

التركيب الهيكلي العامة لكلية التعريب :

يعتمد التركيب الهيكلي لكلية التعريب على طبيعة النظام التعليمي الذي يسلك فيها ، وعلى العموم نستطيع القول بأن بالإمكان أن تضم الكلية أقساماً علمية تغطي جميع التخصصات الأساسية المطلوبة والتي تتوفر حالياً في كليات العلوم والهندسة والطب والزراعة والأدب والقانون مع التأكيد على ضرورة توفير كل ما تحتاجه هذه الأقسام من وسائل تعليمية ومختبرات لغوية تحقق تسهيل مهمة تدريس العلوم المختلفة وأصول تعريبها ، كما أن بالإمكان الإفادة من التسهيلات والأكاديميات المتوفرة في كليات الجامعة فيما يتعلق بتدريس التخصصات المختلفة واستعمال المراجع والمختبرات . إلا أنه لا بد من الاهتمام بدرجة عالية في هذه الكلية لتوفير المختبرات اللغوية والتواهب والمراجع ووسائل التعريب بالمعلومات وأدلة البحث والدوريات المستخلصة للعلوم المختلفة والبيولوجيا ودوائر المعارف والمراجع والمكتبات المتخصصة ومركز للترقيق ومركز للمعلومات ومركز للبيانات بحيث تحقق هذه الأكاديميات والمستلزمات مستوى عالياً من العمل في مجالات البحث والدراسة وبالأخص فيما يتعلق بالاستخلاص والفهرسة والتصنيف والترجمة من اللغات المختلفة .

من مهمات كلية التعريب :

١ - تنشئة الجيل نشأة اعتزاز باللغة واعتزاز بالماضي الذي تحمله هذه الأمة بحيث تجعل من المواطن إنساناً يشعر بالدور العظيم والفهرسة الجليلة الرائعة التي تقدمها الأباء والإجداد إلى البشرية في مجالات

العلوم المختلفة حيث أنهم مارسوا نشر معرفتهم وعلومهم بلغتهم العربية . وبذلك تكون مسئولية جمع التراث وتصنيفه وتبويب ثم العمل على ترجمته ونقله إلى اللغات الأخرى من المهمات الأساسية لكلية التعريب .

٢ - تهئية البيئة الصالحة لتعليم اللغة وتربية السليقة اللغوية الصحيحة وممارسة قواعدهم في مجالات التعريب والتدريب على صناعة الألفاظ المبتكرة المنسجمة مع قواعد اللغة والذوق السليم والتربية على النطق الصحيح وتنمية التعبير المنسجم واثراء الذاكرة وأشباع الحافظة ثم تدريس القواعد وتحفيظ الأصول وأجمال المصطلح الغامض والتسمية البهمة لخلولات غير واضحة ومفاهيم غير مدركة وهذا ما سيوصل إلى الاستقامة في اللغة وإذا ما استقامت اللغة استقام الفكر وسهل التوصل وصلح التعبير وحصل التأثير (٢) .

٣ - توفير مستلزمات أعداد الخريجين القادرين على القيام بمهمة التعريب بين الناطقين بالنظرية والعملية . وذلك بمنح كل خريج الدرجة العلمية التي يستحقها على جهوده وأعماله خلال سني الدراسة وبعد تخرجه .

٤ - تهئية الأساتذة المتخصصين الذين يثابرون على التدريس والبحث في مجالات التعريب وتوفير متطلبات البحث والدراسة لأعضاء هيئة التدريس كل حسب اختصاصه من أجل المساهمة في توفير المراجع العلمية العربية والمصطلحات العلمية العربية بحيث يسهل تناولها واستعمالها في البحث والتدريس من قبل الطلبة والأساتذة والباحثين والعاملين في كليات الجامعة .

٥ - توفير أكبر عدد ممكن من

المراجع العلمية والفهارس والمعاجم ووسائل التعريب لمن يحتاجها من العاملين والباحثين في داخل الجامعة وخارجها .

٦ - إصدار النشرات والدوريات والمطبوعات وتوزيعها إلى ذوي الاختصاص والمهتمين بشؤون التعريب في مجالات العلوم والأدب والفنون وغيرها من ضروب المعرفة . واستخدام العقل الإلكتروني في الجمع والتنسيق وتزويد المعلومات واتباع كل الوسائل المستحدثة والمبتكرة في استقاء المعلومات وجمعها وتوزيعها .

٧ - عقد المؤتمرات والندوات والتعاون مع المؤسسات والهيئات المهمة بشؤون التعريب ، وتوفير الأجواء المناسبة من أجل العمل والتعاون لزيادة الحركة والنشاط والإنتاج .

خاتمة :

من خلال ما تقدم يمكننا القول بأننا تصدنا بتقديم هذا المشروع الحيوي المتعلق بقضايا التعريب ومعالجتها أن نضع حلاً من الحلول الإيجابية التي ستقودنا بأذن الله إلى نتائج باهرة في مجال التعريب فيما إذا أخذنا بأسباب الإمداد والانشاء للراغبين لكليات التعريب في جامعاتنا العربية .

وكذلك أردنا توجيه الأنوار الكاشفة إلى نقص ملموس نعتابه عندما تقدم على تنفيذ أي مشروع للتعريب إلا وهو عدم توفر الكوادر اللازمة التي تتولى المسئولية والعمل الثابت الدائم وللدبي البعيد وروح المعارف الخير مخفية كل الحماز والمواقف من أجل تحقيق الهدف الاسمي الذي تشده رسالة التعريب وينشده كل إنسان حريص على مهنته وعمله . وإذا كانت الجهود الماضية الكثيرة والمساغي الحديدة التي بذلت سواء

اعداد
الدكتور
شكري
فيصل

النسقة منها أو المبعثرة والتي قدمت في شتى أنحاء عالمنا العربي خلال ما يزيد على النصف قرن من الزمان قد أسهمت الكثير في دعم فكرة التعريب وإدخالها إلى حيز التنفيذ والعمل ... بل إنها استطاعت أن تقنع بجدارة وإبداع جدوى السير في تنفيذ مبدأ التعريب وتحقيق خواتمه باستخدام اللغة العربية في الحائِل الأمية والمؤسسات الأكاديمية والعلمية فأننا نقول بأن الأخذ بشروع إنشاء « كلية التعريب » في جامعاتنا العربية سيكون بمثابة النهل المذهب الصافي الذي سيمنح الحياة في الإنكار البؤسة والتطلعات الخاصة للتعريب وستروى مباحهكل الجهود والمساعي الخيرة التي بذلها ويذلها المخلصون من أجل تحقيق رسالة التعريب وببدها بالحياة والحركة والانتماء والانطلاق حيث سيتحقق بواسطة كليات التعريب توفير العنصر البشري المدرب وهو أساس لنجاح وتقدم أي مشروع للتعريب وبطريقة ميسورة مضمونة في الناحيتين العديدة حيث نستصبح هذه الكليات الممين الذي لا ينضب في تقديم الكفايات والمستلزمات التي تحتاجها خطط التعريب التي تضعها الدولة والتي طالما راوت أفكار المخلصين من خدوا اللغة العربية في الماضي والحاضر وبذلوا من أجلها عسرة شابههم وحياتهم . ولا بد من الإشارة في هذهالخاتمة الى ان ما قدمناه هنا أنها هو مجرد اقتراح بخطوط عريضة لمشروع حيوي خطير يحتاج الى الكثير من الدراسة والتفصيل امين ان يجدد الاهتمام والقبول والتشجيع لدى المسؤولين في عالمنا العربي . . . « وقل اعلموا فسيري الله عليكم رسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بها تتم تعملون » .

تتوالى خلال هذه العقود الأخيرة الاجتماعات والندوات والمؤتمرات على طول البلاد العربية وعرضها من أجل التعريب : الحديث عنه والتأكيد عليه والبحث فيه والوخوض في قضاياها .. وتتكاثر المقالات والأبحاث والكتب لتأصيل الفكرة والعمل على انجاحها والتوفيق بين الخطى المتداخلة (١) المتحالة لتحقيق أهدافها .. ويكتب الكتّابون في ذلك ويبحث الباحثون .. والأكيدة التي أضحت بمثابة المسلمات في الحياة العربية وهي أن هذا الوجود العربي الذي نجهل له ونسعى في سبيله ونريد صياغته من نحو وتأكيد من نحو آخر واعتباره من نحو ثالث لا يمكن أن يتحقق الا في نطاق لغة عربية سليمة أصيلة واحدة تنظم المسنة هذه الملايين التي تمتد بين الحسنة والخليج كما تنظم عقولهم .. وتوجد بين اساليبهم في التعبير وبين اساليبهم في التفكير ، وتلام بين جهودهم في نطاق المعرفة النظرية والبحث العلمي حتى لا تأتي هذه الوجهة متأنفة او مجهولة حنين تقاسمها مجموعة من اللغات الأجنبية التي نرض علينا أن تكون ، في هذه

المرحلة بالذات ، لغة العلم عند عديد من علماء هذا الجيل والايغال التي حوله .

ب - وإذا كانت بعض المؤثرات والدنوتات أو بعض الجوت والمقاتلات في الماضي قد عرضت ، أو عرض بعض المشاركين فيها ، لهذا الاصل بشيء من التشكيك وحاولت ان تجعل العربية قاصرة على مرحلة من مراحل التعليم كالمرحلة الثانوية أو على فرع من فروع الدراسات كالدراسات الإنسانية ، أو على جيل من الاجيال كهذا الجيل الذي ينشأ في المدارس الاصلية أو التعليم الاصلى ... وإذا كان شيء من ذلك قد ساور بعض النفوس أو استمال بعض الأذهان أو دعا اليه بعض الداعين ، فإن حركة التعريب قد انتهت بعد حول طويل وجهه متصل إلى قرار هذا البدا الاصيل . وهو الذي اتفق عليه تريد الشعوب التي تطرق اقدم الحضارة المعاصرة ان تحققه لا يمكن ان يتوفر لها كاملا وبشروا ومنتجا الا اذا كان التعليم في هذه الشعوب يتم بلغتها .. وبقدر ما يكون غنى هذه اللغة يكون نجاح هذا التعليم وارتباطه .. وهذا يعني

— بالنسبة الى شعوب العربية — ان هذه الشعوب لا يمكن ان تحقق حظا كبيرا من تقدم في المعرفة العلمية ما لم تتكسب هذه المعرفة للغة العربية ذاتها .

ج — واذا كانت بعض الاصوات او بعض الفئات قد اثرت خلال هذه العقود الأخيرة مكانة اللغة العربية وتكررت لها وتجاهلت مميزات ، واذا كانت قد اخذت ببعض اللغات الأجنبية للتقدم الذي حققته هذه الشعوب التي تتحدث بهذه اللغات .. واذا كانت قد اخذت ببعض اللغات الأجنبية للتقدم الذي حققته هذه الشعوب التي تتحدث بهذه اللغات .. واذا كانت العربية قد تعرضت لرياح جليدية عانية حاولت ان تخلص خصائصها الفنية التي تكفل لها مواكبة الحركة العلمية الواسعة وملاحقة المسيرة الحضارية العربية وارادت ان تتجاهل ماضيا حين نهضت بنوبتها الحضارية التاريخية ، اذا كان شيء كثير من ذلك قد كان ، فان الذي انتهى اليه الفكر العربي المعاصر ان هذه اللغة العربية تملك من القدرات ما يساعد على ان تفي بكل حاجات الدراسات الحديثة ، لا تقتصر في ذلك على الدراسات الإنسانية وحدها ، ولكنها تجاوزتها الى الدراسات العلمية .. وان ما تميزت به هذه اللغة من اسباب الفنى في الاشتقاق والتصريف والقدرة على المجاز والنقد ، يكفل لها ان تكون اللغة التي تكلمها التطور العلمي الحديث في مبادئها كلها ، والتقدم الحضاري الذي يسوق اليه هذا التطور العلمي بكل منشاته ومختراته . والمتابع للجهود اللغوية خلال العقود الخمسة الأخيرة منذ كان انشاء اول مجمع لغوي في دمشق هو المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية الان) اثر قيام اول دولة عربية مستقلة في اعقاب الحرب العالمية الاولى — يستطيع ان يرد اكثر الذي كتب في موضوع التعريب

او اثر في موضوع اللغة العربية — سواء كان هذا الذي كتب في نطاق المعالجات القومية او القضايا التربوية او المسألة اللغوية — الى هذه الثلاثة الاشياء .

أ — الى هذه المسألة القومية — الاجتماعية التي تربط بين الوجود العربي السليم وبين الوجود اللغوي السليم لان فقدان هذا الوجود اللغوي المشترك يحل الوطن العربي الواحد الى جزر اعرابية متناثرة . ب — والى هذا المبدأ التعليمي الذي يربط بين الإقبال على المعرفة العلمية وبين القدرة على تبني هذه المعرفة على اوسع قياس عن طريق اللغة العلمية ... لان العدول عن ذلك الى لغة اجنبية يقطع الطريق على مشاركة اكبر عدد ممكن من اصحاب هذه اللغة ويجعل المزداد العلمي من نصيب نفر ضئيل محظوظ يتاح له ان يتمكن من اللغة الأجنبية ، ولا يتمكن من اللغة الأجنبية في العادة الا القلة .. وكأنها يتوعد ذلك على نحو حتمي الى نوع من الاستقطابية العلمية ، ما أشد حاجة الشعوب الناشئة الى الانصراف عنها وتجنب الوقوع في اضرارها .

ج — والى هذه الحقيقة العلمية التي انتهت اليها علماء اللغة العربية بالمقارنة مع اللغات الأخرى هي غنى هذه اللغة ووفرة ما في طبيعتها من خصائصها من اساليب التوليد اللغوي الذي يمكن ان يكافئ — في شيء من الجهد المنظم — اناق التطور العلمي الحضاري وان يفي بكل حاجتنا تعبيراً وتسمية ووصفا ودراسته .

واذا كان كذلك .. اذا كانت هذه الثلاثة تلخص جملة ما دار حوله البحث اللغوي وانتهى اليه فسان السؤال الذي يلخص الموقف الحاضر هو اذن هذا السؤال : ما الذي يحول دون التعريب الكامل ؟ .. ما الذي يحول بين حركة التعريب وبين ان

تبلغ ابعاد غاياتها في مواطن العربية كلها ... في هذا الوطن العربي وفي الاوطان الإسلامية الأخرى التي تأخذ بالعربية لغة حياة على نحو ما تأخذ بها لغة دين .

وفي تقديرنا ان اول ما يجب ان نأخذ به في هذا المؤتمر والمؤتمرات والندوات التي قد تنتج عنه او تأتي بعده هو ان نتجنب معاودة البحث والحديث والنقاش حول هذه القضايا التي اشبع الحديث فيها ، حتى لا نظل قضايانا اللغوية وقضايا التعريب مقبضتها موضوع مراوحة : لها ذات الحركة المتكررة في الزمان وذات الحركة المتكررة في المكان ، اننا اذا اردنا ان نتقدم على طريق البحث الفكري يجب ان نتجنب مثلا السؤال : لماذا التعريب ؟ لانه ايا كانت الاجابة ، وايا كانت اساليبها فان التعريب هو الصيغة اللغوية الموازية للوجود العربي ...

وليس هناك من يناقش في الوجود العربي الا اولئك الذين يريدون ان ينالوا منه او يشكوا فيه .

ويجب ان نتجنب كذلك مثلا هذا التساؤل : لماذا نصر على اللثة القومية في نطاق المعرفة العلمية ؟ فمن نربط باطنان وثقة بين التقدم العلمي والتقدم اللغوي .. ونعتقد ان القدر الذي يحتاج اليه في الوطن العربي من التقدم العلمي ومن شيوخ المعرفة العلمية ومن تحديث الفكر المعاصر لا يمكن ان يتم بعيدا عن المشاركة ، بعيدا عن الانتشار ، وبالتالي بعيدا عن النقاش فيه ومعارضته او تأييده ولمتقود اليه هذه المعارضة وهذا التأيد من اغناء ... والمساهمة فيه من حق هذا الجيل الجديد ، وهو الحق الذي حرمت منه الاجيال السابقة بحكم الغربة اللغوية .

ويجب كذلك ان يسقط الى الابد في مثل هذه المواقف التساؤل عن مميزات اللغة العربية والجهد المستمر المتكرر

ما الذي يحول بين حركة التعريب وبين غاياتها ؟ .. ما هي العوائق في طريق التعريب ؟

ان تكرار الحديث في الموضوع الواحد ومعاودة طرحه وبخاصة حين يكون موضوعا ناضجا يخشى عليه ان يحترق ، أو موضوعا ينزل من النفس موضع العقيدة ، هو اول العوائق التي تعترض حركة التعريب، وتعرضها لشيء كثير من الجهد المعاد ومن الجهد المضاع .. وليس اجدى على حركة التعريب من ان تباعد ما بينها وبين القضايا النظرية وان تتخذ وجهة عملية .. ليس اجدى عليها من ان يكون كل مؤثر متابعه للذي قبله من حيث انتهى المؤثر الذي قبله .. وحينذاك فان الجهود لن تكون عقيمة والخطى لن تكون تصيرة .. وانها ستحقق هذه المؤثرات اكثر الحظوظ من النجاح واوفر النصيب من طيب النتائج . ولقد انتهى مؤثر التعريب في الجزائر الذي عقد اواخر عام ١٩٧٢ بالجهود التي مهدت له وتقديمته ، الى افضل النتائج التي احسب انه ما حققها مؤثر قبله ... لقد انتهى هذا المؤثر الى اقرار المصطلحات العلمية في ستة من العلوم : في الفيزياء والكيمياء ، وفي الحيوان والنبات ، وفي الرياضيات والجيولوجيا في المرحلة الثانوية .. ولم يبق الا تعميم هذه المصطلحات والاخذ بها ، حتى يكتمل تعريب المصطلح الثانوي لنبدأ بعد ذلك مرحلة تعريب التعليم الجامعي .

ومن عجب ان هذه الخطوة الضخمة لم تزل حثها من الإشادة بها .. وعلى ان تلك مسألة ليس هذا اوان الحديث منها .. فاننا انما اشير اليها على انها عقبة من عقبات التعريب .. تتمثل في فقدان التسلسل والتتابع على بناء الصرح اللغوي ، واذا كانت معاودة طرح القضايا النظرية هي من اشكال عوائق

العربي .. عن انها وحدها طريق الخلاص ... ثم لا نلث ان نجد اننا نعاود ذلك بحثا ، دون ان نتقدم على الطريق الى الوحدة .. اذا لم نقل — والزمان دائب التقدم — اننا نسير القهقري .

ولقد بدا لي ذات مرة ان اقترح على المجلات العربية — لو ان لي سلطة اقتراح — ان نوقف الحديث عن الوحدة العربية .. لان ذلك ينزل من نفوسنا منزلة العقيدة .. بل هو جزء من هذه العقيدة .. فمعاودة الحديث في ذلك قد لا تكون نوعا من التشكيك .. والانسان لا يبني عقيدته في كل يوم ثم ينقضها ثم يجددها .. والشعوب لا تدع لهذه التجارب دائما ان تخضع حركه الشعوب الى هذه المبادئ الكبرى دون مناقشة يومية لها وطرح الاسئلة المستمرة حولها .. ولانه خير من ان نبدا في ذلك ونعيد ان توجه الاحاديث وجهة اساليب العمل وتوسعة الخطى وادراك الغاية .

هنا ، في القضية اللغوية ، احس اننا في حاجة الى مثل هذا الاقتراح ، الى ان تجاوز — دون ردة — معاودة الحديث عن القضايا الاساسية في التعريب ، عن ضرورة هذا التعريب ، وعن انه الطريق الى المشاركة في المعرفة والمشاركة في الحضارة ، وعن قدرة اللغة العربية على الوفاء بما تحتاج اليه المعرفة من الحديث عن مصطلحات وتسميات .

اني لا اتقص من هذا الى شيء من جيد هذه البحوث .. فليس شيء من ذلك مما اسر به .. ولكني اريد ان تبقي هذه البحوث لاصحابها في الجامعات والمجامع والمخابر يغفونها بالاضافات ويثرونها بالنتائج ، اي ان تكون موضع اثراء لا موضع جدل .. موضع عمل لها لا موضع نقاش متكرر مستتر فيها .

من هنا اصل الى اول الجواب عن السؤال الذي كنت انتقيته :

في الحديث عن خصائصها في مجال البرهنة على قدرتها .. ماذا تجاوزنا ان هذا أضحي حقيقة نيرة صادقة وان علماء اللغات المغاربية هم الذين انتهوا اليها وشهدوا بها واكسبروا العربية للذي قدر لها من مستقبل وخصائص تكاد تنفرد بها ... اذا تجاوزنا هذا فان هذه اللغة هي لغتنا ، ايا كانت صفاتها .. ونحن نريد ان نعلم هذه اللغة ونتعلمها . وان تكون لغتنا من المهد الى اللحد ، وفيما بعد اللحد .. وان تكون لغة البيت ولغة المدرسة ولغة الجامعة . وان تكون لغة المعرفة الانسانية ولغة المعرفة العلمية ، وان تكون لغة الحضارة المعاصرة والمقبل كما كانت لغة الحضارة السابقة .. وانه لذلك كله لا مجال — حين يكون الامر متصلا بدراسة خطى التعريب — ان نطرح مثل هذه القضية وان نسميها في كل مرة موضع المناقشة ، لننتهي دائما الى ذات النتائج .

واحس انه ، ما لم نغادر هذه الامثلة وامثالها من الاسئلة الاخرى التي تتشقق منها وتفرع عنها وتتخذ في كل مرة وجهة واسلوبا وصياغة فان مؤتمرنا اللغوي ولقاءنا حول التعريب ستظل تبدا بين الصفر ، واجيانا مما قبله ... ثم تحقق بعض التقدم فيها تتخذ من مقدمات وتوصيات ... ثم لا يلبث ان يبدأ مؤتمر آخر او ينشأ مؤتمر آخر .. فاذا هو يعاود الطريق من اوله مرة اخرى ... ونظل في كل ذلك لا نحقق الا الضعف الخلى وبأسانا عشر

طريق طويلة .. ما ابعد اغاقتها وما اكثر ما تحتاج اليه من جهود . ان داء القضية اللغوية في ذلك يشبه ان يكون داء القضية السياسية في السياسة العربية لاننا ايضا نتحدث — منذ ولدت هذه الاوضاع التي نميش فيها — عن الوحدة العربية .. عن ضرورتها ، عن مقوماتها ، عن ملازمتها للوجود

التعريب .. فان انقطاع الجهود او انقطاع تواصلها هو شكل آخر من أشكال هذه العوائق . وبعد هذين تأتي سلسلة العوائق الاخرى التي أحب أن أقف عندها . ويبدو لي ان هناك سلسلتين من العوائق :

١ - العوائق الخارجية وهي هذه العوائق التي تتحاطط عملية التعريب من خارج .. انها ليست جزءا منها بل هي محاولة عليها حملا .
٢ - العوائق الداخلية وهي هذه العوائق التي تنشأ عن ممارسة الجهود في التعريب .. بما تقتضي به هذه الممارسة من تهيج وتخطيط وتنسيق .

أولا - العوائق الخارجية

هذه العوائق المحولة على قضية التعريب والمروضة عليها من هنا أو هناك تحتاجان أن نواجهها مواجهة في غير مواربة ، وأن نقف عندها وقتة المتصدى لها لا وقتة المستحي منها . ان جملة هذه العوائق تتمثل في قضية الالتزام بالتعريب ومدى الوفاء بهذا الالتزام ، والالتزام بالتعريب ليس من شأن الافراد والجماعات ولا من شأن العلماء والمتخصصين ... ولكنه قبل كل شيء قضية قرار قومي سياسي ، يتخذة اولو الشأن في البلاد العربية جميعا ، متعاهدين على الالتزام بالتعريب وبما يعنيه هذا الالتزام من اشاعة عربية في كل وجه من وجوه الحياة العلمية والعملية وفي كل مرحلة من مراحل الدراسة الابتدائية والثانوية والمالية .

ان مثل هذا الالتزام هو وحده الذي يمكن ان يعطي قضية التعريب حججها الحقيقي ومكانتها الطبيعية . ذلك لان العائق الاكبر في هذه القضية يعود الى انها قضية وجودها الواقعي وجود هزيل شامر بالتقاسم الى وجودها النظري .. وان قبيحتها في اقامة الحياة العربية الاصلية لا تجد ما يوازئها في الحياة الفكرية والتعليمية

والادارية في اكثر البلاد العربية .. وانه اذا كانت الظروف قاهرة مثل ظروف الاستعمار - في الماضي - قد ابعدت اللغة العربية عن مكانتها في الحياة ومكانتها في الفكر ، فان رد الفعل الطبيعي ان تعود هذه اللغة الى مكانتها .. بل الى ما هو فوق مكانتها ان صح هذا التعبير .. وذلك ككلاء ما كان من غيبتها او تضييبها . وما لم يكن هذا الالتزام ، اعني ما لم تتخذ الحكومات العربية مثل هذا القرار القومي السياسي ، في اجتناب من اجتهاعات القبة ، فان كل جهد يبذل في نطاق التعريب يبقى هذا الجهد النظري الذي لا يجد من يطبقه او يستخدمه او يعنى به ... وتبقى الحسابات التي ترافق هذا الجهد والوقت الذي ينفق فيه والمؤثرات التي تمتد له ، يبقى ذلك كله مهددا بأن يهمل حيناً وان ينسى حيناً وان يمد الحديث فيه احيانا وان يطفى عليه الواقع اللغوي المشتت في كل الاحايين .

وما لم يكن هذا الالتزام كذلك ، فان العاملين في قضايا التعريب يحسون حيناً بعد حين نوعاً من الانتعاش والتكوص ، ويغطي عليهم شيء من قتام ، وتبدد جهودهم على غير طائل ... ولا يبقى لهم مما يدفع بهم نحو العمل الا بقية من ايمان يغالون به كل بدوات اليأس في نفوسهم ، وكل غزوات الدخيل من حولهم .

اني لا اتول جديدا .. ولست وحدي الذي اقوله .. وانما اضحي هذا الامر عقدة العمل كله في قضية التعريب . يتحدث فيه الجامعيون والجميعيون على السواء فيها يكتبون ويحاضرون ويتحدثون عنه في كل مرة يجتمعون .. الم يقل المرحوم الامير مصطفى الشهابي (الرئيس السابق لجميع اللغة العربية بدمشق) في مقال له في هذا الموضوع تحدث فيه عن بعض المبادئ في حركة التعريب :

« نريد ان تلتمز الحكومات العربية استعمال الالفاظ العربية والمعرفة في ادارتها ومحاكمها ومدارسها الرسمية والاهلية »

وبعد ، فان الذي يساعد على اتخاذ هذا القرار ان مضطحات العلوم في مرحلة التعليم الثانوي قد اقرت في مؤتمر التعريب الثاني في الجزائر .. وذلك يعني ان الاخذ بتعريب العلوم في هذه المرحلة قد مهدت سبيله واكتبت وسائله ولم يبق فيه معتذر لمعتذر .

وذلك يعني ايضا - حين تصبح الاور في طريقها الطبيعي - انه لا بد من الاخذ بالتعريب في مجال التعليم الجامعي ضمانا للاستمرار ومنعاً للبليلة .

أفلا يكون من حقنا ان في هذا الاجتماع ان يكون اول ما نطالب به واشد ما نصر عليه ان نزيح هذا العائق الضخم من طريق حركة التعريب ؟

ثانيا - العوائق الداخلية

هل هناك عوائق داخلية حقا تلازم حركة التعريب ؟ ام ان هذه العوائق تأتي اثرا لهذا العائق الخارجي الذي قدمت الحديث عنه ، تنتج عنه وتجيء منه ؟ .. الا يؤدي سقوط هذا العائق الخارجي والاخذ ببدا الالتزام بالتعريب الى اسقاط كل هذا الذي يترأى لنا انه هذه العوائق الداخلية التي تنشأ عن عملية التعريب ذاتيا ؟

ايا كان الامر فان كل الذي تلافيه حركة التعريب من عوائق وكل الذي يتبدى خلال ممارستها من صعوبات يمكن ان يمثلي في امرين :-

احدها : تشتت الجهد . والاخر : غياب المنهجية .

١ - فاما عن التشتت فذلك ان جملة من القوى تنهض بسبب التعريب . بعض هذه القوى هيئات وجماعات ، وبعضها افراد باعياهم امنوا بهذه الغايات ونذروا انفسهم لها .. وليست

وتوزيعها بين يدي الباحثين ، منهجا لهم وعلامات مضيئة على طريقهم . افلا يحق لنا هنا ان نطرح في ان يكون بين رؤوس المسائل المطروحة في هذه الندوة ان نأخذ بجملته هذه القضايا التي تتعلق بالمنهجية وان ننطلق منها ؟

وبعد فان رصد عوائق التعريب يضعنا امام حقيقة كبرى احسب انه لا بد من الاخذ بها .. ان يكون العمل للتعريب ، في مرحلة نرجو ان تكون جديدة من مراحل الوعي اللغوي ، متطلعا من الاخذ بالالتزام اولا ، ثم متفردا بعد ذلك في متابعة الطريق من حيث انتهى اليه عمل العالمين في هذا الطريق ، وفي تجنب الجهود بين الذين يجب ان ينهضوا بهذه الجهود وفي توزيع العناية على جوانب المعرفة العلمية كلها في ضوء ما كان وما نأمل ان يكون .

شكري فيصل

— دمشق —



بعض القائمين على الجامعات العربية من لا تشك في انهم يريدون الاخذ بالتعريب .. ولقد سمعت في جلسة عامة من مسئول جامعي كبير كان يدور فيها البحث عن تميم التعريب قوله : اعطوني مصطلحا موحدًا وأنا قمين ان اُشيع استعماله في جامعاتنا . ب — وما غياب المنهجية فلعلمه وجه آخر من وجوه تشتيت الجهد او سبب فيه . وتتبدى الحاجة الى المنهجية في مراحل كثيرة من مراحل حركة التعريب تتبدى في صورة خاصة حين نواجه هذا الخلاف بين اللغات الأجنبية في التعبير عن المصطلح الواحد ، كيف نختار وماذا نختار .. وحين نواجه الخلاف كذلك في تعريب السوابق واللواحق التي تتقدم الكلمة الأجنبية او تضاف اليها .. هل نأخذ بها وكيف نأخذ بها ؟ . كما تتبدى مثلا حين يضطر النقل والتعريب بالمجاز والوضع والنحت فماذا نفعل وكيف نفعل ؟

والحق الذي يجب ان نعلمه وان نأخذ به اننا لا ننقد هذه المنهجية ولكننا ننقد الاخذ بها والتطبيق المشترك لها ومراقبة تنفيذها .. وان عمل عقود عديدة من السنين في وضع المصطلحات في نطاق المجامع قد اولى هذه المنهجية عناية خاصة ، وادار حولها كثيرا من النقاش ، وانتهى فيها الى جملة من القواعد (1) . ولكن العمل المشتت في التعريب والجهد المبعثر في التطبيق يقود دائما الى الاعادة والبدء في مثل هذه القضايا التي تتصل بمنهج العمل ، دون كبير تقدم .

ان في قرارات مجامع اللغة وفي ابحاث كثيرين من اعضائها كبير غناء في ذلك .. والتغلب على هذه العوائق لا يقتضي شيئا هو اكثر من تجميع هذه القواعد المنهجية وطبوعها ،

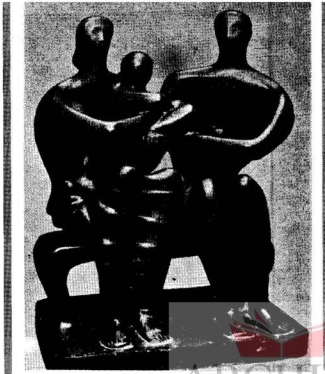
الهيئات سواء ، بعضها دائم وبعضها مؤقت .. وركزنا الاساسي هذه المجامع الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد وعناصرها من هؤلاء الجامعيين الذين اتروا لغتهم على اللغات الاخرى .. ومن ذلك كله بدت الجهود المبذولة في التعريب وكنها يلزمها هذا التشتت .. وحين نسند هذا الجهد الى البلاد العربية او الى اصحابها من هيئات او من افراد نحس هذا التشتت .. وحين نحاول توزيعه على فروع المعرفة العلمية ندرك وجه آخر من وجوه هذا التشتت اذ يظهر نصيب بعض الفروع اضعاف نصيب فروع اخرى .

واحسب ان من هنا كانت الفكرة الاساسية في انشاء اتحاد مجامع اللغة العربية .. ولا بد لهذا الاتحاد من ان تتاح له كل وسائل العمل ودوانه حتى يستطيع ان يدفع هذا التشتت .. وحتى يستطيع ان يقدم خطة كلية لعمل مشترك في نطاق التعريب .. وحتى تكون جهود الهيئات والافراد في ذلك كله جهودا متكاملة تدور في افضل مسارات وتغطي اكل مردودها .

ان من نافلة القول ان اتحدث عن صور من هذا التشتت في المعاهد والجامعات وكيف تختلف المصطلحات وكيف يتباين المصطلح بين جامعة وجامعة في بلد واحد حيناً ، او بين كلية وكلية حيناً آخر ، وبين قسم من كلية وقسم يجاوره حيناً ثالثاً ... ومن نافلة القول ان اتحدث عن عديد من معاجم الطب في دمشق وبغروت والقاهرة وبغداد .. ما بينها من اتفاق مبادئ قد لا يكون اقل مما بينها من اتفاق .

فاذا مضت حركة التعريب في مثل هذا التشتت فان الامر يوشك ان يكون حجة في ايدي خصوم التعريب .. ثم تتسرب هذه الحجة الى السنة

(1) راجع في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » للمرحوم الامير محمدي الشهابي .



الأمومة

عند

« هنري مور »

ARCHIVE

<http://Archivebeta.sakhrnt.com>

بمقام / صبحي المشاروفي

العظيمة اتخذ شكلا يتشئ مع القيم والمفاهيم السائدة ، مرة كتمثيل عن الخصوبة والاثونة ، ومرة كرمز لكل ما هو انساني لدى البشر . كما نجده أحيانا يتوارى خلف موضوع ديني أو أسطوري حتى يصعب على المشاهد التعرف على دلالاته ، وهناك الفنانون الذين يتلقون عواطف الجماهير ، فيتخذ الموضوع على أيديهم مظهرًا غاية في الرقة والرهافة .. ولكن بلا أعناق فكرية .

وعند « هنري مور » يتميز الموضوع بقوة التعبير وعمق المعنى مع المحافظة على صفات الحجر أو المعدن الذي شكل منه التمثال .. وكثيرا ما نجد الأم وقد احتلت مكان الصدارة في العمل الفني وأصبحت محور الرئيسي ، وأحيانا يجتذب الطفل اهتمام المشاهد ويحتل أهم نقطة في التمثال .. وفي بعض الحالات يضيف طفلا آخر أو

تتميز أعمال الفنان العالمي « هنري مور » بأنها تعالج موضوعات قليلة .. فحوالي ثلاثة أرباع تماثيله تدور كلها حول موضوعين فقط هما : « الأم والطفل » و « المرأة المستلقية » .. وستعرض الآن لموضوع الأمومة ، هذا الموضوع الذي عالجته الفنانون في جميع العصور ، والذي يتميز بقدرته على جذب الانتباه وإثارة إعجاب المشاهد من النظرة الأولى .. ولعل هذه الطبيعة الخاصة لموضوع الأمومة الذي طرقة « هنري مور » بكثرة ، هو أحد الأسباب التي حققت للنحات الانجليزي شهرة عالمية في حياته لم تتحقق إلا لعدد نادر من الفنانين .

ان الأمومة كموضوع للعمل الفني قد اتخذ أشكالًا متعددة على مر العصور، وفي كل حضارة من الحضارات

من النحت وخابته ، ومع هذا لم يتجه الى المبالغة بسل عمل على تحقيق افكاره في ايسر شكل يوصلها مباشرة للمشاهد . وقد اعترف الفنان بأن هذا الموضوع ظل يلح عليه طيلة حياته الفنية منذ عام ١٩٢٢ ، عندما التحق بالكلية الملكية للفنون الجميلة في لندن . . وهناك رأي لعلماء النفس في تفسير اسباب هذا الاحاح . . يرجع الى طفولته المبكرة عندما كان يقوم يوميا بتدليك ظهر والدته المصابة بالروماتيزم ، والاثر العميق لهذه التجربة في ذاكرته اللبسية ، باعتبار ان فن النحت يتعامل ، الى حد ما ، مع حاسة اللمس . وقد اضيفت الى هذه التجربة المبكرة تجربة أخرى عندما انجبت زوجته « ايرينا » طفلتها الاولى عام ١٩٤٦ وما استمتع ذلك من تجارب منزلية مبهجة ، كان لها اثر عميق في تطور فنه ودور واضح في اختيار موضوعي « الام والطفل » و « المرأة المستقلة » كموضوعين محبين عاجلها في تماثيل متتالية .

اثر النحت الفرعوني :

ان مشاهدة تماثيل « هنري مور » او حتى صورها يذفنا الى التعلق بها معجبين ، ليس لانها تعيد صياغة جماليات الجسم الانساني فقط — وهي التي تعودنا من قبل مشاهدتها في اعمال الفنانين المختلفة — بل ايضا لانها تكشف عن اعقق المواقف الانسانية .

وقد اختار « هنري مور » النحت « المصري القديم » والنحت « المكسيكي » قبل اكتشاف الايركتين ليكون تراثا لهما له ، وذكر اكثر من مرة في تعليقاته على تماثيله وقال ان قدرة الفنانين ، الفرعوني والمكسيكي ، على المحافظة في تماثيلها على قوة الحجر وصلابته — مع استخدامها لهذه الميزات ضمن الجوانب المعبرة عن الموضوع هي بالنسبة له اعرق الدروس التي استخلصها من هذين الفريقين العظميين . وفي موضوع الامومة سخر « هنري مور » قوة الحجر وصلابته في خدمة التعبير عن حباية الام لابنها بشراة وتيسكها به بكل قوة .

الرخام والبشرة الناعمة :

ولكنه عندما ينتح في الاحجار البلورية الشفافة مثل الرخام فانه يصقلها بعناية لتعبر عن بشرة الطفل الرقيقة وصدر الام الناعم الذي ترضع منه الطفل ، وهذا ما يعبر عنه النقاد بقولهم « احترام الفنان للخامة » . . وهي تمثل قدرته على توظيف خصائص الخامة في خدمة الموضوع .

اما الجمال الشكلي الذي تجده في تماثيل « مور » ، فياتي عن طريق نوع من الإيقاع في الاجسام شبيه بالإيقاع الموسيقي ، وبماثل ذلك أحد تماثيله للام وطفلها تنق فيه منتصبه تحضن ابنها بين ساعديها والإيقاع يتحقق من تشابه في الشكل والملمس الناتج عن صقل وتلميع بعض



الاب مكونا تماثلا للعائلة من مجموعة اشخاص ، ورغم هذا تظل رموز الفنان ودلالات الامومة هي موضوع العمل باعتباره احتفالا وتجييدا لمعجزة الخلق والولادة حتى لو اتخذت الام مساحة من القداسة كنموذج للام الاسطورية الالهة الخصب عند القدماء . اما الطفل فهو دائما رمز الحياة نفسها التي تتجدد في كل عصر .

رموز الامومة :

اذا حاولنا حصر الدلالات الرمزية لهذا الموضوع ، كما تناولها « هنري مور » نجد انه يعبر عن الام كمثل اعلى له قدسيته وتبله ، او يقدمها كرمز للانوثة في الطبيعة في مواجهة الذكورة . . او يصورها كمصدر لبقاء الطفل وسبب استمرار الحياة فيه . وفي بعض الاحيان يكشف الفنان عن بعض الجوانب النفسية الدفينة في علاقة الام بطفلها والطفل بابه هذه العلاقة التي تتناوب في بعض اللحظات الشاذة كراهية مدفونة تحت الحب الشديد . . او يركز على طبيعة حباية الام لابنها وما تتطلبه هذه الحباية من القوة والشراسة ، او اناية الطفل ورغبته في الاستقلال ثم مطالبة الام للاب بالمشاركة في تحمل الاعباء والقيام بدوره الابوي في الاسرة .

وعندما تعرض « هنري مور » للتعبير عن كل هذه الموضوعات لجأ الى الاسلوب الرمزي الذي يفرضه عليه

تجلس على أريكة وإمامها ابنها واقف ينقل منها الدرس ويرتفع ظهر الأريكة يكونا حائطا به فنتحان كبيرتان واحدة في موقع الأم والأخرى في موقع الطفل مما يتيح مشاهدتهما من الخلف .. ولهذا التمثال قصة ..

في عام ١٩٥٦ ، طلبت هيئة اليونسكو من « هنري مور » أن يقيم تمثالا في الساحة الامامية للمبنى الرئيسي لليونسكو في باريس .. فواجه الفنان مشكلتين لكل منهما طبيعة خاصة . الاولى تتعلق بموضوع التمثال الذي يجب أن يكون مبعرا عن دور هيئة اليونسكو ومهمتها بحيث يتلاءم مع المثل العليا التي اقيمت من أجلها هيئة اليونسكو .. اما المشكلة الثانية فهي تتعلق بتشكيل تمثال يتلاءم مع المكان الذي يقام فيه حتى لا يبدو تافها صغيرا امام المبنى الضخم ولا يتناقض مع واجهته التي تظهر خلفه بها فيها من نوافذ متراسة بجوار بعضها وغرق بعضها مما يهدد بالشوشرة على التمثال والغاء الاحساس بوجوده .

وفي سبيل حل هاتين المشكلتين وضع الفنان عددا كبيرا من التصميمات المجسمة ليختار في النهاية افضلها .. وتمثال « أم وابنها امام حائط مفتوح » هو واحد من هذه النماذج المجسمة الذي لا يزيد ارتفاعه عن ٢٠ سم .. ان فكرة الحائط خلف الاشخاص تهدف الى فصل التمثال عن واجهة المبنى بحاجز يخفي ما خلفه .. ورغم

نقط الارتكاز التي تتوقف عندها عين المشاهد في كل من رأس الام المتكورة وكذلك رأس الطفل ، ثم في ثديي الام وركبتي الطفل .. هذه الكتل المتشابهة الاستدارة والملمس تحقق ما نسميه بالابتعاد الشكلي الذي يريح عين المشاهد بل ويمتصها .

اما الاطراف فهي في تماثيل الفنان تقوم بمهمة مزدوجة ، واحدة موضوعية وأخرى تشكيلية ، بمعنى ان الفنان يوظف الاطراف ويعتني بنحتها لكي تكون مقنعة للمشاهد وقادرة على ارشاده ليتعرف بسهولة على الدور الذي تقوم به مثل الامساك أو الحمل أو الشد أو التثبيت أو الدفع أو التلويح .. الى آخر الوظائف التي تقوم بها الايدي والارجل .. فلا تحس ان طرفا من اطراف الشخص المنحوت لا يقوم بدور وظيفي مقنع في اللحظة التي يعبر عنها التمثال .. وفي نفس الوقت يقوم الفنان بتغيير النسب وتشويهها ، بالتضخم أو التثخيف أو التفسير أو التحويل من اجل تحقيق ابتعاد جمالي شكلي مقصود ، وهذا يتم دون الاخلال بالوظيفة العضوية لتلك الاطراف .

أم تعلم طفلها :

من أجل تماثيل الفنان العديدة التي تعبر عن موضوع الأمومة تمثال صغير مجسم يسميه الفنان « أم وطفلها امام حائط مفتوح » .. يصور هذا التمثال أما





حولهم ، مما يعطي الاحساس بالطمأنينة والبهوء .. هذا في حين تقوم الملابس بدور فني ورمزي .. انها تنبذ على ركبتي الام والاب . ودورها الفني هو تحقيق الارتباط بين كتلة جسم الاب وكتلي جسمي الام والطفل .. اما الدور الرمزي فهو اشارة الى الترابط الاسري الذي يتحقق عند توفر المحبة والوثام .

ان موضوع الامومة هو من اكثر الموضوعات خصبا وثراء واجبها لدى الفنانين ، وليس السبب في ذلك هو علاقتهم بكل منا كبناء او امهات فقط ، وانما لان مادته وعناصره هي الجسم الانساني وهو اكثر الاشكال الفنية حساسية وامتعا للمشاهد بمجرد رؤيته ... وعند النحات الانجليزي « هنري مور » لا نجد تجسم الانسان ليس فقط الشكل الذي تقع عليه عيوننا ما دما نحن نحيا في مجتمع ، وانما هو ايضا وعاء الحياة ومحور كل حواسنا وتطلعاتنا .

والفنان الناجح هو الذي يستطيع ان يقدم لنا الانسان ليس بشكله الخارجي فقط ، وانما بحياته الروحية الداخلية وعواطفه وانفعالاته ايضا . والجسم الانساني النوثجي الذي كان عند الاغريق رمزا للجمال المثل .. ولا نجده ميدانا للاستمتاع الحسي ، بل نجد التعبير عن روعة الحياة واشارات لزيد من الجهد لتحقيق انتصار الانسان والارتقاء ببواهبه وتهذيب نفسه .

القاهرة — صبحي الشاروني

● المراجع : مطبوعات اليونسكو المختلفة عن « هنري مور » ، بقلم هيريت ريد وغيره .

ان هذا التمثال لم يتق عليه اختيار الفنان لينفذه في ساحة اليونسكو ، الا انه من افضل اعماله واتواها تعبيرا عن موضوعي الامومة وتعليم الصغار في نفس الوقت .

تدليل الاطفال :

ولهنري مور مجموعة تماثيل يسميها « الكرسي الهزاز » ، وهي تبلغ ثمانية تماثيل كلها من البرونز ، اربعة منها نحتت عام ١٩٥٤ ، والباقية نفذت عام ١٩٥٦ .. وكلها تمثل اوضاعا تدللية وتتميز بالتبسيط حيث تتحول الاجسام الى خطوط وزوايا واتواس ، فيها علاقة شكلية بين اعضاء جسم الانسان وقوائم الكرسي الهزاز ، مما يحقق الايقاع الذي يمتع المشاهد ويحببه في التمثال المنحوت . وهناك مسألة اخرى يتميز بها الفنان العظيم هي قدرته على التقاط موقف او حركة تحدث في لحظة ثم يثبتها في عمله الفني ويضعها امام عيني المشاهد وكأنه يسלט عليها اشعة كاشفة او يعرضها علينا من خلال عسمة مكبرة ومثال ذلك تماثله « الامسك بالفتاحة » انه يصور اما تجلس على مقعد وفي يمينها فتاحة يسمى الطفل الزاحف من الخلف الى الامام — عبر فخذ الام التي تستد به يسارها — للحاق بالفتاحة والامسك بها . واذا نظرنا لهذا التمثال من الخلف نبين الى اي حد نجح الفنان في تسجيل لحظة تدللية تعبر عن عجز الطفل عن السيطرة على اطرافه مع انصرافه الكامل الى محاولة الوصول للفتاحة التي لا تظهر لنا من هذه الزاوية ، ولان كنا نحس بوجودها في يد الام اليمنى ، بينما يدها اليسرى تهين عليه وتحمية من السقوط .

الام الفخورة بانها :

وفي واحد من تماثيل « هنري مور » المبكرة عن الامومة التي نحتها عام ١٩٣٠ نجد تعبيرا عن فخر الام وسعادتها بانها الذي تقده لنا بكبرياء ، والفلسل المحمول على يديها ينظر الى وجه امه متعلقا بها ، بينما يده تداعب ثديها .. وفي مثل هذا العمل تتجسم فكرة الفنان عن ضرورة المحافظة على روح خابة الحجر بها فيها من قسوة وخشونة مع تحقيق الايقاع عن طريق الكتل التي تبرز من كتلة التمثال الرئيسية مثل הראسين والتدين ثم ركبتي الطفل .

الترابط — العائلي :

لما تمثال العائلة فهو يظهر لنا كيف اتسع موضوع الامومة باضافة الاب الى المجموعة المنحوتة .. هذا التمثال مقام في حديقة « نيوتاون بانجلترا » ، ويبلغ ارتفاعه ١٦٥ سم . ان الام وطفلها يجلسان في جانب من التمثال تحت حباية الشكل المسيطر للاب ونظرتهم تتطلع الى بعيد .. الى مباني المدينة الجديدة المنتشرة

الوجه الآخر

مشعر عبدالله الشحام

الخييل
القسوة

اتطلع محمولا كالتسول في باب الجامع
في صدر الليل المعالي
أبحث ثانية عن وجهي الضائع
وبراعم خيطان الأقمار السوداء

* * *

يا سر الليل العاصف
هل تحفظ أشجار التفاح
من الريح الوحشي القاسي
هل تستر عريي

وسمائي

وفراخي
وأصابنا الخضراء المقرورة
يا رب الصيف

ورب القمصان الصوفية

هل انتهد

هل انتهد

أو أتبعد

وحدي

دون عيون

ونباح

ونساب

التنادي الأسود

يرسل

أفهاما مستعرة

والسيدة المشبوحة في الشارع

تتلوى

كالورد المذابيل

كالليل المصاب على جسدي

تحت سياط الأمطار

التمهرة

عبدالله الشحام

كلية الآداب - الجامعة الأردنية

كانت ثمة امرأة متدلية

تحت ثلوج أناشيد القمح الأصفر

في وهج خفيف الأوراق الزرقاء القشرة

كانت تبدو كالجرح المتسول

كالحنق المتحول

كالزهر الراعش

كالأدغال العطرة

في فترة صمت وحداد

* * *

مات الشفق الأحمر والكرز الأحمر

والليل الأسمر

ماتت كل أكاليل الفار وأقواس الزينة

في هذي الساعة

يتفجر دمغ الأطفال السود على البيدر

وتدوسك قاطرة السر وأقراخ التلقلق

سيري وحده *

في أرض التغي دميني

انقص كالشجر البري أناغي أهداب العينين الحلوة

يا امرأة النار ، أنا النار

أنا الطير

أنا الورد

أنا العصفور السري دميني

أحفظ وجهي

من طلقات الكهان وأسرار السحرة

أقرع آخر ليلى

مجهورا

بالوجه السافر

والصوت الفاتر

والظل النافر

باب القوية بسين

أبحث عن امرأة سيدة

أبحث عن طلوع النخل وساقى المقهى

أرنو لثلاثة أشياء بحسرة :

الخمر

مقدمة للغضب



انتشل كيف ؟ عقيبا وسكونيا ساكون ؟ أم النطفة
بالخصب المتجب ستمعندي الصبروره ؟

٣ - مجزرتي مقيلة ، والشجر الواقف يتطاعن !
والوادي ممتليء جنثا ودماء ، والشجر الواقف
يتهاوى ! كيف يكون خلاصي ؟ هل في جسد امرأتي
الداء أم في الرخص الملتاث على جثث المطعونين ؟
اثبت يا مخي اثبت ! فطويلا رجراجا دغليا سيكون
الجدان ! وبأ قدمي الفضين اندقا في الأرض انسقا في
الأرض فلهظنا الآتية جنون زلزالي ! وأشحذ يا
جسدي شهونك المكبوتة للرقص رماحا وسكاكين
فدامية ستكون الرقصة !

٤ - هذي ملكتي المسبية ، تلك حقولك فائرة
كالبطن الخصب ، وذلك قمحي ، غنبي ، ورجال
يتخفون بسرور الزراع وشال الحصاد الليلة بجنونك
ثيرا وثيبا . وأنا عريان اتقلص جوعا فوق بنابيك ،
آه وأنت البطن الفائرة الخصب ، وآه يا أوجاعي
عريت المسنن فاختبري ما شئت اختبري ما شئت
اختبري ، وانفجري قحيا في وجه القتل !

٥ - لست - كريح الصيف البهتانة - وقتيا .
زمن الأرض أنا ، وفصول الغضب نراعي ، وهذي
مملكتي ، أحرث تنيبها الضرعين غلالا ساخنة تنقلب
تحت ضلوعي سرتها الساخنة الممتلئة ؟ ونراعي
فصول الجوع فقولنا الآن : لن سرتك الساخنة
المتلئة ؟

لا ترتجفي صمتا أو هربا . ثدياك الضرعيان
الليلة تحت حبالتي ، هي لحظة شق فاعتري قبل جنون
الجل السكين .

١ - تنفلت الليلة مهرة نار ، ميماد جحيمي يزحف
نحو شراييني كالريح المتفكة من زمن القيد وزمن
العار .

٢ - عرنتي أوجاعي ، عرنتي ، فكتشفت عن
القائم والتاصع ، وتكتشف عن الماجز تحت ثيابي
والقادر ، وعن القاتل والمقتول ، فأه يا دورة موتي
خلقي جدي مطري ، الليلة موتي يأتي خلقي يأتي .





دولة الكويت وزارة التربية

(اعلان)

تعلن وزارة التربية بدولة الكويت عن حاجتها الى
اخصائين للعمل في ادارة الوسائل التعليمية للعام
الدراسي ١٩٧٥/٧٥ في التخصصات التالية :

(ا) التلفزيون التعليمي :

- ١ - معد ومخرج للرياضيات الحديثة .
- ٢ - معد ومخرج طبيعة .
- ٣ - معد ومخرج لغة انجليزية .
- ٤ - معد ومخرج احياء .
- ٥ - معد ومخرج للجغرافيا .
- ٦ - معد ومخرج للتاريخ .

(ب) قسم التصميم :

- ١ - مصمم وسائل علوم (احياء) - خبرة في
عمل وتصميم الوسائل .
- ٢ - مصمم وسائل رياضيات (رياضيات حديثة)
الشروط :

ان يكونوا حاصلين على مؤهلات جامعية
مع دراسة الاعداد والاخراج وخبرة لا تقل عن
اربع سنوات في التدريس .

(ج) قسم التوجيه :

* توجه للمرحلة المتوسطة ، يكون حاصلًا
على مؤهل جامعي مع دراية في صنع واستخدام
الوسائل التعليمية وخبرة لا تقل عن خمس
سنوات في التدريس .

يلا الطلب ويرسل باسم السيد / وكيل
وزارة التربية بدولة الكويت - مراقبة البحث
والتنسيق الفني ، ويكتب على احدى زوايا
المظروف (للعمل في ادارة الوسائل التعليمية)
بحيث يصل في الفترة من ١٩٧٥/٢/١ حتى
١٩٧٥/٣/١٥ .

يوضح بالطلب جميع البيانات التالية بكل دقة :

الاسم - الجنسية - العمر - الديانة - الحالة
الاجتماعية - عدد الاولاد - المؤهلات وتاريخ الحصول
عليها - التسلسل الوظيفي - العنوان .
وسوف يبلغ كل مرشح ببوعد ومكان المقابلة بخطاب
رسمي ، والطلبات غير المرشحة للعمل لا يرد على
اصحابها وبدون ابداء السبب .

وكيل وزارة التربية

٦ - كالأزنية المسلوخة تتلوى الدلنا في رثتي ،
وفي حلقي يافا واقفة مضرجة بالدم الطازج ، وعلى
صدري وشم حفرته بخنجرها زنبقة طردت من بلد
الاسلاك الشائكة وجرحا دخلتني ، ونمت في حقول من
نفاع يعرف قاتله المعطب ، وعظامي في التيل الجاهل
لؤلؤة يحقنها الصياد الاسود بالصمت ، وموعسـد
افراحي يقبل ، موعد افراحي يقبل ، موعد افراحي
يقبل يا نفاعا حفرته على عنقي عاشقتني فانقض الان
مخاضا عصبي الرعشة والطلق انتفض الان مخاضا
عصيبا .

٧ - اخرج يا غضبي مسنونا كالحربة ، واشتملي
يا مملكتي - المنطرة فوق زنود الخاسين - حريقا ،
فانا امشيك زمانا للحنز ولتشبهوات المجهضة وانت
البطن الفائرة الخصب ، وحقله ملكي ، اغنايك زرعني ،
هذي الانهار الدافقة عرقني الناضح من جلدي منذ
مواسم لهني المحوم بواديك ! فلا تسقيهم مني ، اني
اكره من شربوك وحرمونني .

٨ - ساخنة رثائي وعاشقتي ساخنة ، والمهرة في
يافا منمرحلة الساقين ، ومفصلتي مقبلة ، وعن اللعنة
والطوفان تكتشف الليلة ، والليلة ينعري فحذا سيئا
لتجار قديموا من كل اقالم النهش الشبيقي فقولني
الآن : لمن سرنك الساخنة انفرطت ؟
قولني : سرنك الساخنة لن ؟ في حلقي صخر القاباة ،
وعلى صدر الصبية صخر ، وعلى الرمل الشرقي
جهاجم ترحف في ارصفة القاهرة وفي شرباني يزحف
كالقعي الدموي ودامية ستكون الرقصة دامية ستكون
الرقصة دامية ستكون !

٩ - جسدك مشبوح في يافا منقوب برصاص
اطلق من فوهة بالقاهرة ، وجسدي مشبوح في الدلنا
منقوب من نفس الطلقة !

١٠ - حلت لحظة مقتي . لن يهرب احد هذي الليلة ،
ها ادخل مملكتي المسبية ، فاصطفوا فوق الرمل امامي
لي فيكم نار يتلوى في بني وانا لن اخذ عصفورتكم
بجريمة صقركم الدموي الشدين ، اصطفوا الان على
الحث المدفونة في الرمل اسمامي وارتمشوا رعشي
الموت ارتمشوا . هي لحظة غضب تتورم في كبدي
تغلي في شرباني - منذ زمان القحط الى زمن الطعنة
في الظهر العاري - والان برعب الحقد الجوع
انفجرت .
هذي لحظة سيفي .

حلمي سالم - القاهرة



رياض
الفكر

« في رياض الفكر »

تأليف : عبدالرزاق البصير

فها هو ذا يتناول في الفصل الاول من كتابه موضوعات مهمة يعالج بها التيارات الادبية في عصرنا الحاضر ، ويحدد اتجاهاتها ، وما تعكس على المجتمع العربي من اثر ، ثم يعين الغاية من وقف الاديب نفسه على الادب ، وماهية رسالة الاديب في الحياة ، وكيفية التصريف في اللغة ، فيأخذ على المتشدقين السذنين يشوهون جمال اللغة العربية بسوء التصريف ، والمصلحات ، حتى جاوزوا لانفسهم استعمال (التبرجع) نمية للبرج المعالي ، و (التاراض) و (التافهم) لمن يستوطن الارض والتعليم ، كما يفعل ذلك البعض ، ومنهم كمال يوسف الحاج ، ويأخذ كذلك في هذا الفصل من كتابه على الذين يكتبون كلاما غميرا مفهوم ، ويسمونه ادبا ، ويحسن كثيرا اذ يعزو نمو الادب وازدهاره ، واداء رسالته الكاملة الى الحرية الكاملة ، ويعتبر الحرية ركنا اساسيا لابتعاث الادب الصحيح ، وهناك عرض لامنياته وافكاره براه القاري في القسم المعنون « بعالم الاحلام » من هذا الفصل .

وتتجلى موهبة هذا الاديب في الفصل الثاني وهو يعرض تراجم عدد من كبار الشعراء والادباء واللغويين ، كحسان بن ثابت ، والعباس بن الاحنف ، والشريف الرضي ، وابن سيده ، وصفي الدين الحلبي ، وغيرهم ، وهو يتفق في رايه مع الاستاذ احمد اللواساني في تنقيده ما نسب لحسان بن ثابت من جبن اتقده عن المشاركة في الغزوات دون الالتفات الى العلة التي تجاهلها عن عمد بعض المؤرخين ، ويفاضل بين الشريف الرضي واخيه المرتضى ، ويورد من الامثلة التي تميز كل شاعر في اتجاهاته ، وتزعاته ، وصفاته الخاصة ، وبلغ

هذا آخر كتاب صدر للاديب الكويتي الاستاذ عبد الرزاق البصير ، وقد تسنى لي ان اقرأ بعضه في الكويت فاقطع شطرا من الليل في لذة وممتعة هي من انفس المتع التي تخلفها قراءة كتاب ادبي نافع ، حلو الحديث ، مشرق الديباجة على النفس وقرات الفطر الاخر منه في الطيارة ، وانتمت قراءته ببغداد ، والكتاب هذا يحتوي على ثلاثة فصول ، اقتصر الفصل الاول على مقالات ، ومحاضرات تناولت موضوعات مختلفة من مواضيع الادب والحياة ، وتناول الفصل الثاني تراجم طائفة من مشاهير رجال الادب المتقدمين والمتأخرين ، اما الفصل الثالث فقد اقتصر على نظرات للؤلف في بعض الكتب التي قراها .

والاستاذ البصير كثير الشبه بالمرحوم الدكتور مهدي البصير ، فقد نشأ هو الآخر خطيبا ، والخطابة لا سيما اذا كانت صفة عامة للشخص ، تتطلب حافظة تختزن القدر الواسع من المعرفة ، والقدر الواسع من الاحاطة بالتاريخ ، والادب بكل لوانه اذا كان هذا الخطيب ينزع الى الادب ، ثم تتطلب حسن الاداء ، ليجتنب الخطيب بذلك النفوس ، ويشد اليه القلوب ، ويهرق الاستماع ، وزاد الاستاذ عبد الرزاق البصير كما زاد الدكتور مهدي البصير على ذلك ان كان ادبيا ، وان صفة الاديب الحق تتطلب بوهية يستطيع بها الاديب ان يزن الامور بيزان المنطق السليم ، وان يتحرى الحقائق ، ويأتي بالجديد من الافكار ، وقد اوتي الاستاذ عبد الرزاق حظا كبيرا من هذه الناحية ، فمير كتابه هذا عن هذه المواهب خير تعبير ، فلم يكن البصير بعد هذا وجه الكويت الثقافي المشرق وحبيب ، وانما كان من وجوه الثقافة العربية خطابة ، وادبا ...



ان يعزو تلك الحالة الى غير الجنون وشروبه .

ومن هذه التراجم التي سأتها الاستاذ البصير ، بل من كل ما كتبه ، وخطب به ، يخلص القساري والسماع ، الى انه امام رجل يتمتع بالشيء الكثير من مزايا الانسانية ومن ديانة الخلق ، وطيب السريرة ، وكرم النفس ، وهو بعد ذلك : عف اللسان ، لا يذكر احدا بسوء ولا يعرف الهجاء طريقا الى قلبه ولسانه ، ومن هذه المزايا استنكاره للتخضع ، والتذلل ، فهو بعد ان اتنى في ترجمته على ابن سيده الثناء العاطر كعالم ولغوي قال :

« لكن ابرا واحدا كنت احب ان يبتعد عنه هذا العالم العظيم ، الا وهو التخضع ، وكثرة الثناء على اقبال الدولة ، فهو — اي ابن سيده — يقول في حق اقبال الدولة :

الا هل الى تعبير راحتك البيهني

سبيل فان الامن في ذاك واليهنا

وفي البهتراضه لمجد بن كتاسه يقول البصير : « لم أكد التقي هذا الشاعر حتى احببته ، واكبرته ، اما سبب هذا الحب والاكبار ، فانه يرجع الى عاملين : احدهما اباء طبعه ، وتقديره لموهبته الشعرية ، الامر الذي جعله ياتف ان يسخر ذلك لمح السلطان ، او ذوي المال ، مع شدة حاجته ، وابلاقه .

« واما السبب الثاني الذي جعلني احب هذا للشاعر واكبره فهو صفاء نفسه وحلاوة شعره ، وهذا يتجلى في قوله :

في انقباض وحشمة فإذا

صادفت اهل الوفاء والكرم

ارسلت نفسي على سجيبتها

وقلت ما قلت غير محتشم »

ونعرف جانب الانسانية في البصير من عتبه على العباس بن الاحنف حين يقول البصير :

« ولقد وجدت نفسي راضية عنه — اي عن العباس — في بعض الجوانب ، عاتبة عليه في جوانب اخرى ، فاما عتبي عليه فلانه لم يرث احدا من اجدائه ، او يحد احدا من اصقائه ، وهذا خلق لا استطيع ان اتمهم » .

نفوذ شعره في جوهر البلاغة ، واعماق الفكرة .

كما يعرض في هذا الفصل لعدد من الشعراء والادباء المتأخرين مثل الصافي التجني ، وطه حسين ، وحافظ ابراهيم ، ولا ينسى المؤلف ان يقدم لنا في هذا الجانب من هذا الفصل عهد المسكر ، وهو شاعر كويتي كان في طلبعة شعراء الكويت المجددين ، ولا يستكثر علينا اذا وضعناه في مصاف الخيرة من شعراء العرب المجددين ، وقد سبق للاستاذ عبدالله زكريا الانصاري ان احيا ذكر هذا الشاعر المغفور ، وخصه ببجته ، فكان له السبق في الفضل الذي اشار اليه البصير نفسه .

واهمية هذا الفصل — الفصل الثاني — من الكتاب لا تنحصر بالشخص الذي كتب عنهم المؤلف هذا الفصل ، وكشف عن رايه في كل واحد منهم ، وانما هناك امران يثيران الدهشة بكل معناها في نفس القاري المدرك ، الاول منها يخص ذهن المؤلف الذي يستوعب كل هذه الشواهد التي ياتي بها المؤلف امثلة للشعر ، او نصوصا من الوقائع ، سواء كانت هذه الشواهد والنصوص منقولة من صفحات الذاكرة ، كما هو الحال في بعضها ، او منقولة من صفحات الكتب فهو اي المؤلف الذي يدل الذين يستعين بهم في الكتابة عند التأليف على المواطن التي تضم تلك النصوص المطلوبة ، ليستخرجوها له !! وهذا شيء غير قليل ان يعرف اديب كالبصير الكتاب المطلوب ، ويعرف اين يقع منه الشاهد ، لينقله له .

والامر الثاني هو الإيجاز ، وهو من اهم ابواب البديع ، او قل من اهم ملكات الادب ومواجه ان يحسن الاديب وضع الشيء في موضعه دون زيادة او نقصان حتى لتطبيق كلمة ما قل ودل على كل ما عرضه المؤلف من التراجم كل الانطباق ، وهي مزية يغبط عليها هذا المؤلف .

اما عرضه للصافي التجني فاحسب ان التسيان قد طنى على ذهن المؤلف فاورد حكاية الصافي على غير ما اعرفنا ، واما ما يتعلق بترجمة شميم الحلبي فلانا اخاله في ان يكون الغرور هو السبب فيها كان يبدو من شميم الحلبي من الادعاء ، والمكابرة ، والحركات النابية ، لان الواقف على سيرة شميم الحلبي لا يمكن



من أخبار الرابطة

« قبل أيام ، غادرت الى القاهرة ، على الطائر الميمون » سكرتير التحرير : الأستاذ خالد عبد الكريم لقابعة دراسته الجامعية العليا والاعداد لدراسة الدكتوراه في النحو العربي .. بنينا بذلك رحلته في وعبره جديدة من الغربة عن الوطن والصحاب و « مشاكل » البيان ...

... نفسيا حيدا ، وعسودا سعيدا ... انتهى للزليل المميز والرفيق الكريم : المذاع عن اصالة الكلية العربية : « الدكتور » خالد ... وفي رعاية الله .

« سمعنا في مطلع الشهر الماضي فبراير » بلغنا من كل المخرسين « المجاهدين في سبيل العلم » سليمان الشطي و طارق عبدالله .. الذين مكثا في الكويت وقتا قصيرا ، عادوا بعده الى بلاد الغربة حيث ما زالا يتابعان دراستهما العليا .

« الاديب المعروف : عبد الرزاق البصير » ظل رابطة الادباء في مهرجان طه حسين ، الذي اقيم يوم ١٩٧٥/٢/٢٦ ، في القاهرة .

« من المنتظر ان يصدر في مطلع ابريل (نيسان) القادم ، لاديب : عصام عسيران ، مدير الادارة في « البيان » ، ترجمته ودراسته الواسعة لمعلمين مصريين بالفرنسية - من تاليف الكاتبة العربية الاصل الفرنسية الجنسية : السيدة اتدريه شديد . والمصريان المذكوران والدراسات الخاصة بهما وباللبناني اللبناني المكتوب بالفرنسية - ستصدر جميعا في مجلد واحد من منشورات سلسلة المسرح العالمي الصادر عن وزارة الاعلام في الكويت .

« دابمت رابطة الادباء في الكويت نشاطها في اجراء موسيها الثقافي الحافل لهذا العلم ، فانابت خلال الشهر الماضي عدة محاضرات وامسيات ، نذكر منها :

— محاكمة الشعر الحديث : للأستاذ جعفر الخليفي في ١٩٧٥/١/٨ :

— لوركا : شاعرا ومريحا : للدكتور محمود مكي في ١٩٧٥/١/٢٢ .

— حول الادب التسلسلي الماصر : للدكتور رجا سريون في ١٩٧٥/٢/٥ .

— اسبسة شعرية : للشاعرة الدكتورة عاتكة الخزرجي في ١٩٧٥/٢/٦ .

— حول المرحح السوداني : للفنانة السودانية امينا في ١٩٧٥/٢/١٢ .

— النظرة التقليدية الفاترة من الشرق نحو الغرب العربي : للأستاذ الدكتور صالح خري في ١٩٧٥/٢/١٩ .

— الثقافة الاسلامية وتأثيرها في الادب الاناني في القرن التاسع عشر : للمستشرق الاناني الدكتور فايزر : في ١٩٧٥/٢/٢٢ .

والخاضرة الاخيرة ، وما اليها « المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب » في الكويت واعتبرا بطلقة شاي .

بحث اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في بيروت بقترحات معينة لتحقيق تعاون فكري مع رابطة الادباء في الكويت . وقد تلقى الاتحاد ردا ايجابيا بهذا الصدد .

ويستنكر البصير خطة البرد الذي كان لا يعلم النحو جمانا ، ولا يعلم الا على قدر الاجر ، يزيد التعليم ما زاد الاجر ، وينقصه ما نقص الاجر ، فيقول البصير في ذلك :

« وهذه خطة غير محبودة ، لان العلم ليس صنعة فيها الجيد والرديء ، وليس من واجب المعلم التقدير كالبرد ان يجعل التعليم بهذه المثابة . »

وكان الزجاج يعلم تلميذه القاسم بن عبيد الله بن سليمان ، وقد اشترط الزجاج عليه ان هو بلغ الوزارة ذات يوم ان يعطيه عشرين الف دينار ، وكان ان بلغ الوزارة فغوض له الوزير قضاء حاجات الناس عنده بنين يتقاضاه من اصحاب الحاجة حتى يستوفي طلبه ، فيعلق البصير على ذلك قائلا :

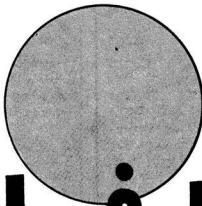
« وهذا يدل على فساد شديد في حكم ذلك المهذ ، واي فساد ابلغ من هذا الفساد الذي يسمح لوزير ان يتفق مع عالم له مكانته على ان يقضي حوائج الناس باجر معين » .

وغير هذا الكثير الذي يستنبط منه القاري اخلاق البصير وسريته ، بالاضافة الى ما يعرف عنه العارف عن كتب ، من طيب المعشر ، والجب عن ذكر احد بالسوء ، وصديق اللهجة ، واحترام نفسه ، فهو بحق صورة من اروع صور الانسانية بين ادبائها اللامعين .

وفي الفصل الثالث ، يتناول المؤلف النظر في الكتب المهداة له والكتب التي تم له ان يقرأها ، ويمر فيها يمر بالمعارنة بين المتنبي والجواهري من حيث المزاج الذي يحملها على مدح المدحود ثم لا يلبث ان يهجوها ، كما يمر بعدد كبير من الكتب ، منها « الخالدون العرب » لتفري طوقان و « دراسات في اللغة » للدكتور ابراهيم السبرائي ، و « البلاغة عند السكاكي » للدكتور احمد مطلوب ، و « من مكة الى موسكو » لمحمد الكريم غلاب ، وغيرها من الكتب الاخرى فيعرضها عرضا رقيقا جريلا ويشير الى المواطن التي تستلقت الانتظار منها .

والكتاب هذا يتمتع كل الامتاع ، ومفيد كل الانادة ، فهو الجامع المانع على حد تعبير المعبرين الذي يستحق المؤلف التهنئة والشكر الوافر عليه .

جعفر الخليفي
— بغداد —



الفاخوري

وأرائه في النحوى واللغة

بسم
جميل علوش



<http://Archiway.com/Archiway.com>

أراها في هذه اللحظات التي انتهت فيها للكتابة عن استاذي الشيخ جميل الفاخوري الذي يقبع الان في احد احياء بيروت يصارع الشيخوخة والمرض .
والحقيقة اني لا اعرف الكثير عن تفاصيل حياة هذا الشاعر الكبير فقد كان وما زال ضئيلا باذاعة تفاصيل حياته . وكلما كنت الح عليه بتزويدي بشيء منها كان يابى محتجا بان الحياة باطل الابطال وقبض الريح .

وقد اجتمعت معه لآخر مرة في صيف عام ١٩٧٣ وكان يادي الضعف والهزال . ولما طرحت عليه بعض الاسئلة اعتذر عن الجواب وردد كلمته المشهورة : الحياة باطل الابطال وقبض الريح . وقد ودعته وأنا اخشى الا اراه مرة اخرى . واني لاأفترض انه ما زال حيا وان كانت صعوبة الاتصال به أو بأحد يعرفه تجعل امكانية وفاته — دون أن أدري — واردة .

ومهما يكن من شيء فإن ما نملكه من التفاصيل

جرت العادة أن يعنى الدارسون بالكتابة عن مشهوري النحاة واللغويين وتحليل اثارهم وتحديد مواضع القوة والضعف فيها . كما جرت العادة كذلك أن يكون نصيب الاموات من هذه الدراسات اكبر واعظم من نصيب الاحياء حيث تنتفي بعد الموت عوامل الاترة والاثانية ودواعي الضغينة والحسد . ولا غرو في ذلك فقد قال القدماء « المعاصرة حجاب » .

واذا كانت الكتابة عن الاموات تبدو في كثير من الاحيان ملحة ، فهي بالنسبة الى الاحياء اشد الحاحا خاصة اذا كان الهدف منها انتصافهم والوفاء بحقهم . ولقد يكون ممكنا ارجاء الحديث عن الاموات الى اجل غير مسمى ولكن المسألة تختلف حين يتعلق الامر ببعض الاحياء ممن علمهم وعطاؤهم اكبر من سيئتهم وشهرتهم اذ يخشى عليهم حينئذ من عوادي الفناء والاندثار دون ان يسمعو كلمة حق أو يظفروا بنظرة انصاف .

ولا ارى الوفاء واجبا ولا الانتصاف لفيذا بقدر ما

القليلة من حياته يسد حاجتنا في هذا المجال خاصة أن آراءه ونظراته في النحو واللغة هي ما يشغلنا الآن . وما يهمننا أن نعلمه هنا أنه ولد في قرية لبنانية تسمى « كفر شيبا » حوالي سنة ١٨٨٥ م ودرس العربية على الشيخ إبراهيم اليازجي الذي ينتمي الى القرية نفسها ، ثم درس في عدد من مدارس بيروت الثانوية مدة من الزمن .

ولأسباب لا نعلمها ترك التدريس وهجر لبنان في عهد الانتداب وتوجه نحو فلسطين وأقام في مدينة « يافا » فعمل هناك « صديلا » إذ كان يحمل رخصة بطلب المهنة من جامعة لا يستطيع تحديد هويتها قد تكون لبنانية أو تركية وفي « يافا » كان يمارس الشعر في المناسبات العامة والاحداث الكبرى .

وعلى اثر نكبة فلسطين المعروفة سنة ١٩٤٨ رحل من « يافا » الى مدينة « رام الله » وأقام فيها يدرس اللغة العربية للمصنف الثانوية في « الكلية الاهلية » . وكأنه أحس فتورا في همة بعد أن ذرف على السنين أو كأنه لم يتفق مع ناظر الكلية على أساليب التدريس فقرر التوقف عن عمله والانتقال الى « بير زيت » وهي بلدة قريبة المسافة من رام الله ، رغبة في توفير جو اهدأ وقام اهنأ إذ لس ان تلك البلدة اشد مناسبة لصحته من غيرها .

وقد عمل ثمة مدرسا للمصنف الابتدائية حوالي عشرة اعوام (١٩٥٠ - ١٩٦٠) ، لأنه كان حريصا على الكسب فقد كان في مكتة ابناؤه ان يكوه حاجته بهما عظمت بل لأنه لم يكن يرغب في العودة الى لبنان . هذا بالإضافة الى أنه في حين كان يريد الاستراحة من عناء التدريس لم يكن يؤد أن يواجه الفراغ والملل . فقبل هذه الوظيفة التي وجد فيها تواسا بين الحالتين وان كانت لا تناسب مكانته ومستواه العلمي .

في تلك المرحلة تعرفت بالاستاذ جميل الفاخوري فقد درسي في المصنف الابتدائية الثلاث الخامس والسادس والسابع (ما بين سنة ١٩٥٠ و ١٩٥٣) ففهمت بيننا اسباب الود وتوثقت عرى المحبة وجعلت بيننا علاقة متينة وفريدة .

لم يكن استاذنا يلتزم في تدريسه منهجا أو يرجع الى كتاب بل كان يتجاوز ما هو مقرر لنا فيخيل الصف وهو لا يحل في يده شيئا فيفيض علينا من علمه وثقافته ويتحدث بكل نفيس ونهين .

فكان يشدد على القراءة الفصيحة والاعراب الصحيح فيفضي الحصص المقررة عليه في تدريب الطلبة على القراءة والاعراب مستعينا على ذلك بما تخرجه حافظته من جيد الشعر ورسنه .

ولشدة ما كان يضطرم في جوانحي من حب للغة والنحو وما كتبت احصه في نفسي من رغبة للاستزادة منها لم اكن اقعن بالساعات التي كان يقضيها معنا في داخل جدران المدرسة فكنت التقيه باستمرار واطرح عليه الاسئلة واستحته على الكلام فيفيض ويتدفق في الشرح ويخرج عن حدود المستوى المدرسي الى مستويات أعلى وأرفع . فنتحدث في اللغة والنحو والعروض وكانت ملازمتي له تشبه الى حد بعيد طريقة الدقاء في الإخذ والتلقي . وقد دامت هذه الحال فترة طويلة ، إذ بقيت اتزدد عليه بعد انتهاء المرحلة الابتدائية والمرحلة الثانوية حتى موعد سفري الى الكويت في اواخر سنة ١٩٥٨م على الرغم من انني كتبت اتلقى العربية في المرحلة الثانوية على مدرس أكثر علم اكن مقتنعا بعلمه في العربية ولا بروسخ قدبه فيها .

شغفه بالعربية

وكان استاذنا شغفا بالعربية محبا لها الى حد انه كان يوقتنا عن الصلاة اذا سمع لحنا أو أحس خطا . فكان يضيق ذرعا اذا سمعنا مثلا نقول « نحن الخطا » بدل « نحن الخطاة » كما كان يتدخل في أسماء الاعلام فإذا سمع من يقول « مبيب » بضم الميم نبه على وجوب نطقها بفتح الميم لأنها اسم مفعول من « هاب » وإذا سمع من يقول « جنتة » بكسر الجيم وهي اسم قرية مجاورة اهر على وجوب نطقها بفتح الجيم ، الى غير ذلك من التنبهات التي تدل على الصرامة في تطبيق القاعدة والشدة في الالتزام بقوانين الفصاحة العربية .

من آرائه في النحو

وكان في تدريسه لمادة النحو كما أسلفت يعتبر بالناحية التطبيقية منها فيعني بالقراءة الفصيحة والاعراب الصحيح . فيتوقف عند كل كلمة لتزويدنا بما يحضره من التنبهات والملاحظات . وقد امتاز منهجه في ذلك كله بثلاث صفات بارزة :

١ - حرصه على صحة النطق في اثناء الاعراب فيصر على أن نقول مثلا : « فعل ماش مبني على الفتح الظاهر » فصاحة متناهية وكان يجيز لنا ان نقول مثلا : وشبه الجملة « في محل رفع فاعل » أو « في محل رفع فاعلا » برمع كلمة « فاعل » على الخبرية أو نصبها على الحالية . فكان يعنى عناية كبيرة بتطبيق الاعراب في الاعراب .

٢ - دقته في استخدام المصطلحات الاعرابية وتتجلى هذه الدقة في المواضيع التالية :

(١) - كان يرفض متابعة النحاة في قولهم : فاعل مرفوع بالضمه أو مفعول منصوب بالفتحة أو مضاف اليه مجرور بالكسرة أو مجزوم بالسكون . وحجته في ذلك ان الضم والفتح والكسر والسكون من القاب البناء

المختص هو الذي يعمل . ولذلك كان ينكر النصب ويشير علينا باصلاح ما يعثر عليه منه في كتابات المعاصرين او شعرهم .

(ب) — كان يتشدد في موضوع عودة الضمير الى اسم سابق . ويتجلى ذلك في موضعين :

الاول : منعه لعودة الضمير الى ما لم يجر له ذكر في الجملة واعتراضه على ما يخالف ذلك بقوة ، ولذلك اخذ على الرصافي في قصيدة « ام اليتيم » قوله :
لغيتنا لبيتنا ما كنت التفاه

يتشى وقد انتل الاملاق مشاهرا
وجه الاعتراض ان ضمير المؤنث هنا ليس له ما يرجع اليه في البيت . اما « ام اليتيم » التي من المفترض ان يرجع اليها الضمير فهي لا تعدو ان تكون عنوانا والعنوان ليس جزءا من القصيدة . وقد تفني دلالة الحال من وجود المرجع في مثل قوله تعالى « وتوارت بالحجاب » يعني الشمس او « واستوت على الجودي » يعني سفينة نوح ولكن هذا قليل ولا يجوز تعميمه .

الثاني : معارضته لعودة الضمير الى متأخر لفظا او رتبة . وهذه النقطه من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين . وعلى الرغم من انه كان دائما يميل الى جانب البصريين فقد مال في هذه المسألة الى جانب الكوفيين . وتوضيح ذلك ان البصريين والكوفيين يتفقون على منع عودة الضمير الى متأخر لفظا ورتبة في مثل قول الشاعر:

جزى بنوه ابا الغيلان عن كبر

وحسن فعل كما جوزي سنبار
غير انهم يختلفون في عودة الضمير على متأخر لفظا يتقدم رتبة . فتشدد اجازها البصريون في حين منعها الكوفيين وذلك في مثل قولهم : في بيته يؤتى الحكم
وقد مال استاذنا في هذه المسألة الى جانب الكوفيين فتشدد في منع عودة الضمير على متأخر لفظا او رتبة . ولذلك اعترض على قول الحارث بن حذرة في مطلع معلقته :

اكتننا بيبنها اسماء

رب ثاو يمل منه النواء
نأشار علينا باصلاحه على الوجه التالي :
اكتننا بفرقة اسماء

رب ثاو يمل منه النواء
(ج) — مال الى جانب البصريين في وجوب اقتران الفعل الماضي « بقد » اذا وقع في صدر الجملة الحالية او في خبر الامثال النباشية في مثل قولنا : جاء وقد تغير لونه او كان قد تغير لونه . ولذلك كان يتضايق وتبدو على

لا من القاب الاعراب فكان يصحح ذلك بقوله : فاعل وعلامة رنعه حركة الرفع الظاهرة ومفعول به علامة نصبه حركة النصب الظاهرة ومضاف اليه علامة جره حركة الجر او الخفض الظاهرة ومجزوم علامة جزمه حذف الحركة . فالقاب البناء هي الضمة والفتحة والكسرة والسكون والقاب الاعراب هي حركة الرفع وحركة النصب وحركة الجر وحذف الحركة . ولهذا الذي ذهب اليه استاذنا جذور في المذهب البصري .

(ب) — كان يرفض ما جرى عليه النحاة في اعراب الضمائر المتصلة في مثل قولهم « قراته » : « قرا » فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بالتاء والتاء فاعل والهاء في محل نصب مفعول به . كان يرفض ذلك كله معتلا بان تسمية مثل هذه الضمائر المتصلة تاء وهاء الخ ضرب من التخليط بين الاسماء والحروف . فنهذه الضمائر اذا سميها تاء وهاء الخ جعلناها حرفا في حين هي تعد من الاسماء . ولذلك كان يصر على اعراب قراته كما يلي : فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك وهذا الضمير المتصل المبني على الضم في محل رفع فاعل . وضمير النصب المتصل المبني على الضم في محل نصب مفعول به . ولا يقبل غير ذلك . وهذا ينطبق على جميع الضمائر المتصلة .

(ج) — في الفعل المضارع لم يكن يكتفي بقولنا : هو فعل مضارع مرفوع . بل هو فعل مضارع متجذر عن الناصب والجازم ومما يوجب بقاءه علامة رنعه حركة الرفع الظاهرة اذا كان صحيحا ومبتدئا على الالف للتعذر وعلى الياء او الواو للاستقلال اذا كان معتلا . وكان يصر على ظهور علامة النصب على الفعل المضارع معتلا اذا سبقته احدى أدوات النصب . وعلى الرغم انه يجوز في الشعر تقدير تلك العلامة على الياء فقد كان يكره ذلك . ولهذا حينما قرأنا قصيدة « الفتاة اليبانية » لحافظ ابراهيم توقف عند البيت التالي :

ودعاني موطني ان اغتدي علني اتقي له ما وجبا
نصححه على الوجه التالي :

ودعاني لاغتداء موطني علني اتقي له ما وجبا
وذلك ليتجنب ضرورة تقدير حركة النصب على « الياء » من « اغتدي » .

٣ — اختياره لبعض الآراء والمذاهب والتزامه الشديد بها يختار حتى كأنه يجهل غيرها أو يتجاهله . ويتجلى ذلك في المواضع التالية :

(١) — كان يختار الرفع في خبر « ما » النافية . ومع ان النصب هو لغة الحجازيين والرفع لغة التميميين فقد كان ينكر النصب معتدا بالقياس والقياس الرفع كما ذكر ابن الانباري في « الاصلان » لان « ما » حرف مشترك بين الالفعال والاسماء . وما كان مشتركا فهو لا يعمل بل

وجهه الكراهة اذا وقع على مثل هذين التركيبين .

امثلة من تعليقاته وتنبيهاته

ولا نود ان ننهي هذا المقال قبل ايراد طائفة من تعليقاته وتنبيهاته الكثيرة على الشعراء من مختلف العصور حرصا على استكمال الصورة ورغبة في عدم تضييع ما تحتويه تلك التعليقات من فائدة .
قال ليبد بن ربيعة :

من معشر سنت لهم اباؤهم

ولكل قوم سنة وامامها

فغيره على الوجه التالي :

من معشر آباؤهم سنوا لهم

ولكل قوم سنة وامامها

وحينما استفسرت منه عن ذلك قال : لقد اجازوا (يعني التحوين) تأنيث الفعل المسند الى جميع الذكور على قلة ولكن الاصل هو التذكير . ولذلك يصبح الوجه الثاني اكثر موافقة لاصول العربية خاصة ان تأنيث الاباء في موضع الفخر غير مناسب .

قال ابو العلاء المعري :

يكررنى ليفهمني رجال كما كررت معنى مستعادا

فغيره كما يلي :

يكررنى الرجال ليفهموني

كما كررت معنى مستعادا

ولا اذكر بالضبط ما كانت حجة في هذا التغيير وان كنت ارى ان السبب في ذلك مخالفة الشاعر لقواعد النثر اذ اسند فعلين الى فاعل واحد وكان عليه ان يسند احدهما الى الاسم الظاهر ويعمل الثاني في ضميره .

ثم ان تعريف « الرجال » في هذا الموضع اقوى وابلغ من تنكيرها .

قال كعب بن زهير :

كل ابن انثى وان طاللت سلامته

يوما على آلة حدياء محبول

فاصلحه كما يلي

كل ابن انثى وان طاللت سلامته

يوما على الآلة الحدياء محبول

ولا اذكر جيدا تعليلا لهذا التغيير غير اني اقدر — مستوحيا منهجه في التحليل والتفصيل — انه اجراها مجرى الاعلام المترنة باداة التعريف كالكعبة المكرمة والصخرة المشرفة والمهد وغير ذلك مما يستتبع تجريده من اداة التعريف واستعماله منكرا . وكأنه قدر ان هذه الآلة الحدياء هي من الشهرة بحيث لا يجوز ان تستعمل منكرا . ويلحق بهذا استباحه لقول الكتاب والمؤرخين « الاسكندر الكبير » بالجمع بين اداة التعريف والصفة .

فكان يرى انه لا بد من اختيار احدهما لما ان نقول :
اسكندر الكبير او الاسكندر . اما الجمع بين اداة التعريف والصفة فلا .

قال عمر ابو ريشة :

لو شاء بث شجونه لتكسرت

بنها اتامله على اوتاره

فغيره كما يلي :

لو شاء بث شجونه لتقطعت

بنها اتامله على اوتاره

وعلا ذلك بقوله : ان الانامل لدنة طرية يناسبها التقطيع ، اما التكسير فيناسب الاشياء الصلبة كالحجارة ، فالتقطيع لما هو لدن والتكسير لما هو صلب .
وكذلك اخذ على عمر من قصيدة جنان دارك قوله :

حتى اذ انالت نواجذه من الاشلاء مقصد .

لانه خرق قواعد الوقف في « مقصد » اذ ان الوقوف على المنسوب المنكر يستوجب اقترانه بالاف الاطلاق بخلاف المروغ والمجروح . ولكنه حذف الالف لضرورة الوزن .

كما اخذ عليه من نفس القصيدة قوله :

مضت الليالي مثلا الاحلام في اجفان نائم
فنسبه الى الضعف واثار بغيره على الوجه التالي :

مضت الليالي تشبه الاحلام في اجفان نائم

قال خليل مطران :

يستكر الصلوك منهم دانسا

في اضلع الابطال والقواد

فغيره على الوجه التالي :

يستكر الصلوك منهم دانسا

بأضالع الابطال والقواد

فاعترض عن « اضلع » « بأضالع » لسببين :
عروضي ولغوي :

اما السبب العروضي فلان من شروط البحر الكامل الذي تجري عليه هذه القصيدة ان يحتفظ بتفعيلة واحدة على الاقل من تفعيلاته الست كما هي في الاصل (متفاعلان) والا انتلب رجزا . وهذا مما حصل في بيت مطران . فليس فيه تفعيلة واحدة على على وزن « متفاعلان » بل كلها أصبحت « مستعملان » الا الاخرة فقد صارت « مفعولان » وهذا مما يتفق فيه الكامل والرجز ، واستبدال « اضالع » « بأضلع » كفيلا باصلاح هذا الخلط .

اما السبب اللغوي فهو ان « اضلع » جمع قلة ،

هذا قليل من كثير ، وما كان بودي أن اتوقف لولا
أن المقام لا يتسع . فله استاذنا الشيخ ما كان أشد
بالعربية أنسه ، بل ما كان ادراه بأسرارها وخفاياها .
فلقد كان عليه بها ذوقا ودراية لا تحفظا ورواية . رعاة
الله ومد في عمره وأحسن خاتمه .

الكويت — جبل علوش



وجمع القلة لا يناسب مقام المعركة ، ولذلك لزم
الاستعاضة عنها « بأضالع » . وقد نبهنا بهذه المناسبة
على التفريق بين جموع القلة وجموع الكثرة . ولتسهيل
الأمر علينا تلا هذين البيتين اللذين يتضمنان جموع
القلة :

بأفعل وبأفعلال وبأفعللة

وفعلة يعرف الأدنى من العدد

وسالم الجمع أيضا داخل معها

في حكم ما قل فاحفظها ولا تزدد



شركة البترول الوطنية الكويتية

اعلان عن مناقصات

تعلن شركة البترول الوطنية الكويتية عن حاجتها الى توريد المواد التالية عن طريق
المناقصة العامة :

رقم المناقصة	التفاصيل	قيمة المستندات	تاريخ قفل باب العطاء
٩ - ٦٠٠٥	خرطاطيم	٢ / - دك	١٩٧٥/٣/٢٣
٩ - ٦٠٨٠	هياكل معدنية	١٠ / - دك	١٩٧٥/٤/٦
٩ - ٦١٩٢	حواجز مواسير مبدلات	٢ / - دك	١٩٧٥/٤/٦
٩ - ٦١٨٥	شرايح مونيل	٢ / - دك	١٩٧٥/٣/٢٣
٩ - ٦١٨٦	شرايح مونيل	٢ / - دك	١٩٧٥/٤/٦
٩ - ٦١٨٧	وصلات برونزية	٢ / - دك	١٩٧٥/٣/٢٣
	لخز الطيم الحريق		
٩ - ٦١٩٢	كيبيلات كهربائية	٢ / - دك	١٩٧٥/٣/٩
٩ - ٦٢٠٩	قطع قماش للتنظيف	٢ / - دك	١٩٧٥/٣/٩

يمكن الحصول على المستندات المتعلقة بأي من هذه المناقصات من المكتب الرئيسي للشركة
اعتباراً من ١٩٧٥/٢/٨ . كما يمكن الاطلاع على التفاصيل من لوحة الاعلانات في مكتب
الشركة الرئيسي ، الكويت .



رحلة الى بلاد الشلج والضباب

الجائع في الحي اللاتيني !

ARCHIVE
محمود حجازي كساب

والفتيات ولم يصادفوا نجاحا يذكر في التواؤم مع الجو فانصرفوا راجعين .. لبى دعوة صديقه كـامل على المشاء ، وهناك وجد بعض الشبان من العراق وتونس ومعهم فتياتهم ، ولفتت نظره « مارجريت » ونعرف هنا ان « صاحبنا » شاعر ، ويرقص معها بعد ان استأثرت بلبه لثوثها الطاغية ، وعندما حاول تنقيبها تركته وذهبت الى كابل ، وانفرد كل شاب بفتاته ، واصبح وحيدا ، فغادر المنزل ، كان صديقه قد خرجا للبحث عن مغامرة !

وتفتقره اشواك الشيق الى المراه .. اسبوع باكله مر عليه ولم يذق طعمها ، تلك المراه في الغرب التي حلم بها بعد ان ينس من المراه في الشرق ، ويقرر الذهاب الى السينما عله ينسى فيها لوعته وشوقه الى احضانها التي طالما حلم بها ، وفي السينما تجلس الى جواره فتاة صغيرة بصحبة رجل ، ويمد يده يتحسس

سهيل ادريس روائي يحاول ان يجد مكانا بين العمالق الذين قام بنشر نتاجهم .. وهو في روايته « الحي اللاتيني » يحاول تقديم وجهة نظر في مسألة اللقاء بين الشرق والغرب .. فلقد سافر « صاحبنا » بطل « الحي اللاتيني » الى فرنسا للحصول على الدكتوراه في الاداب .. يقف ، والسفينة تتحرك ، يفكر في بداية جديدة ، لحظات الوداع تسلمه الى الامكنة الاحلام ، انه يريد ان يعيش عمرا آخر متحررا من التخبس ، يريد استلهم الحياة شخصية جديدة ، باختصار يريد التحرر من الماضي ! ويصل الى باريس مع صديقيه صبحي وعذنان اللذين تعرف بهما على ظهر الباخرة ورغم انها يدرسان القانون الا انها يتذوقان الادب ، وما ان وصلوا حتى خرجوا بسرعة اخرى للسهر رغم ان السماء كانت تمطر ... دخلوا احد المقاهي المكتظة برواد الحي اللاتيني من الفتيان

مشاهدة المسرحيات .. ويتكشف له فؤاد عن ذهن وقاد وبصرة نافذة ، ويحس في أعماقه باحترام وهيبة شديدين .

ويتقابل فناء تظن نفس الفندق ويقدم نفسه لها ، ولكنها تصده مظهرة دهشتها لجرأتها في الحديث مع من لا يعرفهم ! ولكنها يقابلها مرة أخرى - صديقة - وهي تشتري بعض الكتب ، ويدعوها الى شرب قحح من الشاي ، ويقدم لها نفسه ، ويعرف عنها أنها طالبة قدمت من إحدى ترقى الألاس دراسة الصحافة في باريس ، وأنها تبحث عن أسرة فرنسية تقيم لديها ... وتغادره على غير موعد وكان ذلك حزنا له خاصة وقد أبدت له شوقها لزيارة الشرق ورؤية النخيل والمصحرا والجمال ، وان شوقها ذلك كان بمثابة قراءتها لفلوير ! ... ويستيقظ في الصباح .. فيظن أنه « تريز » خادمة الفندق التي يتعامل معها ويساعدها ببعض النقود لتربية أولادها ، وحين يخرج من غرفته تقابله جاتين ويقتط يتحدث معها ، ويسألها عن أسباب عدم تقبلها لصادقاته ، ولكنها تطلب منه أن يظللا صديقتين حتى يمكنها أن تقب به ، ويدخل معها غرفتها !



ويستبد به حب « جاتين » .. كانا يخرجان معا ويرتادان دور السينما والمسارح والمصاحف ، وعرف حكايتها : أحبته هنري خطيبها ولكنه خافها وغربها ، ومن ثم كانت خالته .. وسألته في أحد الأيام عن شغره ، وعن رغبتها في زيارة متحفه الصغير (غرفته) ، ولكنها أبدى رغبتها في زيارة غرفتها ، وفيها قرا لها بعض تصانده ، وتحللن له باءن يظلا صديقتين ، ويقبلها وتقبله ، ويغادرها في المساء متحكما في غرائزه .. وتغادر « جاتين » في إجازة تقضيها عند خالتهما لمدة أسبوع ، ويعود الى أصدقائه الذين غاب عنهم ، ويوزر صديقه فؤاد الذي كان مريضا ، ويحكي له عن قصته مع « جاتين » ، ويحكي له فؤاد عن نسلائه وعن صديقته « فرانسواز » ، وأكد كل منهما للآخر أن صديقته ستعجبه !

ويذهب مع صديقته صبحي وعدنان في رحلة الى تصور اللوار ، ولكنه لم يسعد بهذه الرحلة ، ويقابله نمري وهو أحد اللبنانيين الذي يدعوها الى زيارة البيت اللبناني وهناك يلعب القمار مع بعض الطلبة ، ويربح ويخسر ويسعد بهذه اللعبة التي تضيع الوقت ، وعندما يعود الى فندقه يجد ورقة من « جاتين » تخبره فيها بعودتها وانتظارها لياها .. ويذهبان معا الى حفلة أتابتها كلية الآداب في السربون ويرتصان معا ، وعندما تنتهي السهرة يعودان الى الفندق وتصعد معا الى غرفتها ليترجم لها بعضا من شعره .

وتتعرف « جاتين » على أصدقائه ومنهم فؤاد

يدها وجسدها فلا يتابع ، فيعطبها بطاعة بحددا غدا موعدا للقاء ، ويظفر منها بالواقعة في غفلة من مرافقتها . وذهب في الموعد الذي حدد له لقاءتة السبينا ، وظل ينتظرها زمنا الا أنها لم تحضر ، وسار في الطريق حائتا ، وفي أثناء سيره صادف إحدى فتيات الليل وأمضى معها وقتا في أحد الفنادق ، وكان أكثر ما لفت انتباهها فيه أنه طيلة الوقت ، رغم ممارسته للجنس معها ، لم ينظر الى وجهها ، وعندما نهبت الى ذلك ابتنت أنه حقا في حاجة الى الشفقة والرأء ... ويقرر عليه صديقه صبحي الانتقال الى فندق رخيص لان تقودهاا توشك على الفناء ، ويتنقلان فملا الى الفندق الجديد ، ويستقل كلا منهما بغرفة !

ويقد جرس التليفون في غرفته .. كان سامي صديقه الشاعر الذي حضر الى باريس في زيارة قصيرة وعندما يلتقيان في أحد المقاهي يخبره سامي بأنه على موعد مع شاعرة فرنسية اسمها « ليليان » وأنه ينوي الظفر بها الليلة ، ويتعرف عليها ثم يغادرها ويسأل نفسه : « أتراني وقعت من نفسها موقع الرضى » ؟! وفي اليوم التالي كان في وداع سامي الذي ترك « ليليان » وأخذها معه وأشدت له من شعرها قصيدة ، وذهبت معه الى غرفته في الفندق ، ونالها معا ، وتركته على موعد ستحدده له ، وعندما حضر صديقه صبحي رفض ان يحدثه عنها ، وعندما ذهب معا الى المقهى وأراد ان يدفع الحساب اكتشف ان حافظته خالية ، كانت « ليليان » هي السارقة ، وقبلها اكتشف ان القصيدة التي أنشدته إياها كانت من شعر الشاعر الفرنسي جاك بريغير !

وينتقل وصديقه الى اماكن أخرى ثلاثه موارد ثم المالية المحدودة .. عدنان يستأجر غرفة لدى امرأة حسناء ، أما هو وصبحي فينزنان في أحد الفنادق الرخيصة .. ويتعرف صبحي الى فناء في الجامعة تنسبه صديقه « صاحبنا » بعض الوقت .. وفي يوم ما يعرف الى امرأة فرنسية اسمها « مارجريت » ، وفي الحال يأخذها الى غرفته وعندما يهم بها تتركه غاضبة ، ويقابل عدنان الذي كان قد قدم لزيارته وصبحي ، ويسران معا في نقق الترو ويستمعان الى موسيقى شوبان تنبعث من عازف متجول ، ويسرح بخاوطره الى بيروت ، هناك حيث ناهدة التي أحبها حبا غفيرا ، ويتذكر لقاءه الأخير بها .

ويتعرف الى صديق سوري اسمه فؤاد يدرس بمعهد اللغات الشرقية ، ويشاهدان مسرحية المادلون (لا لير كايو) .. ويقول فؤاد لكم اتوق الى ترجمة هذه المسرحية الى العربية ، ان نأفجها ينبغي ان تشيع في شعوبنا ، يومها لن نجد من يضحك بعثت مثليا سيمنا في المقهى أحد السوريين وقد استهجت فعلته إحدى الفرنسيات .. ويلتقي دوريا بفؤاد ويستمران في

الذي يكن له كل الاحترام والحب ، ويحضر فؤاد صديقتة « فرانسواز » وتعرف « جاتين » ويذهبون معاً لمشاهدة مسرحية « ست شخصيات تبحث عن مؤلف »، وتبدى « فرانسواز » رايتها في المسرحية مما اثار اعجاب « صاحبنا » ودفعه الى سؤال فؤاد عن السبب الذي لا يجمله بزوجها ، ويجب فؤاد : بان ذلك محال لانه يعد نفسه لخدمة قضية بلاد العرب والزوجة الاجنبية لا يمكنها فهم ذلك !

ويبدأ « صاحبنا » و « جاتين » في معاناة الفلاس بما اضطرها اي « جاتين » الى العمل في احد المحلات كبايعة لثياب الاطفال ، وهو الى الاستدانة « تيريز » خادمة الفندق ، وتنقل الى الطابق السادس في غرفة مجاورة لغرفته رخيصة ولكي تكون الى جانبها ، ولكن التعب ينهال منها نظراً للاجهد الذي تبذله في العمل والاستذكار .. وتبرض ويرضها ، وتدور بينهما مناقشة عن المستقبل ، وينتابه التعلق لطبختها ، ويعتقد انها تود الزواج منه لانها اخبرته بانها سوف تنقطع عن دروس الصحافة حتى يتسنى لها الفراغ له .. ويتاح له فرصة الاطلاع على دفتر مذكراتها ، وبه يتأكد من حبه له ، ويقضي الليلة مع زملائه وحده .. وفي اليوم التالي يخبرها بانها سوف يعود الى الوطن لغرض الاجازة ، وتحزن لذلك حزناً شديداً ، ويقضيان ليلة الوداع في هم وكبد ، وتسكن حتى الثالثة هرباً من حزنها لغرائفها واحساسها بالضياع من جراء ذلك .. ويصل الى الوطن دون وداع منها ويكون الاهمل في انتظاره !

وفي لقائه مع ناعدة احس بازمة كبيرة ، احس بانها تختلف عن المرأة التي التقى بها في باريس ، احس بانها لا تدعو ان تكون جسداً ، اما الروح فمكبلة بأسار رهيبة من الماضي اللعين ! وتتدفق رسائل « جاتين » عليه تشكو اليه وحدها وانتقادها اياه وتحكي له عن حياتها في بعده .. ثم تصله بعد ذلك رسالة منها تنبئه فيها بانها حامل منه ، واثماً يستنظر رايه في ذلك ، ويرد عليها منكراً ابوته لذلك الطفل ، ويقول لها انه ليس الوحيد الذي ضاعها .. ولكنه يتدم بعد ذلك على تسرعه في الرد ، ويصله رد « جاتين » وهو : انها سوف تواجه مصيرها بشجاعة .. وينتابه الالم والحزن والنفقة على امه التي دفعت الى هذا التصرف الجبان ! وعندما تصله رسالة صديقتة فؤاد التي يعاتبها فيها على تخليه عن « جاتين » دون ذنب جنته ، ويخبره بانها اجرت عملية اجهاض خطيرة كادت تودي بحياتها .. يقرر السفر فوراً ، وعندما يصل الى باريس تكون « جاتين » قد اخفقت وينهار مجهشاً بالبكاء ! ويلتقي بالاصدقاء الذين يفكرون في المستقبل ،

وينغمس معهم في نشاطهم بالرابطة التي كونوها في باريس ، ويلقي المحاضرات فيها ، وينغمس في العمل لانهاء رسالته ويحصل على الدكتوراه ، ويخبره زميله احمد بانه راي « جاتين » ثلاث مرات في اسبوعين .. ويلتقي بها وكانت قد أصبحت شحبا من آثار الفراق والمرض ، وتأخذها الى غرفتها بالبلاطة وتضميه دفتراً مذكراتها ليقرأ فيه .. ويعرض عليها الزواج ويرافقته الى بلاده ، وحين يتفان يعود فلا يجدها ، وانما يجد رسالة منها تخبره فيها انها في فترة غيابها سقطت وان سقطها سيعمته عن النضال الذي ينتظره في بلاده ... ويعود الى الوطن ليواجه حياته التي حلم بها !



هذا هو ملخص رواية « الحي اللاتيني » التي كتبها الدكتور سهيل ادريس ، ولقد حاولت بتقدير المستطاع ان احيط القاري بكافة الوقائع التي اوردها المؤلف في روايته هذعولا اريد ان اخفي عن القاري عشاقه في القراء ، فهي اثر تسميته بالرواية فيه مصادرة على الحقيقة فضلاً عن انني اذا وصفتها الان وقيل ان ابني في الدراسة ، بانها لا تستحق الانضمام الى عالم الرواية العربية من ناحية الشكل والمحتوى لكنني كمن يفرض وصايته على القاري ، ولكن وبالم الاستغناء الذي يواجها به الدكتور سهيل ادريس في روايته هذه ، لا امك سوى القول بان هذه الرواية لا تتالم مع مكاتبة فكره واذهب عربي يملك رصيدها في النضال في ساحة الادب العربي لا يستهان به .. ولكنها اي الرواية ولانها تنعزض القضية التي خصصنا لها هذه الدراسة ، تحسب على الروايات العربية .. وقيل ان افنت الرواية استعداداً لقراءتها وجنتني اقراً ما كتبه نغم من أشهر أدبائنا الذين تعاملوا مع الدكتور سهيل ادريس ككثير لمجلة الآداب وصاحب دار الآداب للطباعة والنشر .. ولا اود ان اصمم القاري بما كتبه هؤلاء الاعلام من الادباء والنقاد ولكن اوجز ما قرأته على غلافه الخلفي من تعريض يجمع على انها اي الرواية اثر ادبي فذ كان من الرواية العربية في اشد الحاجة اليه ! وطبعاً هذا التقليد كان من باب الدعاية الرخيصة تها مثل اعلانات افلام السينما !

والرواية كما اسلفنا في ملخصها تحكي قصة شاب عربي سافر الى باريس .. وهو اي بطل الرواية يحلم بذلك الخرافية ، يحلم بها كحلم للنفيس الجنسي الذي عانى الكثير من كبته في بلاده .. هكذا ! وفي اعصابه يردد : « تلك المدينة التي ما فشت دهر في خيالك ، خيالاً غامضاً كانه المستحيل » (ص ٥) ، وهو قائم على حياته الراكدة السبقة في وطننا العربي ويحلم بالميلاد الجديد بين ذراعي هذه المدينة الخرافية ويردد



سهيّل أدريس

مرة أخرى من أعبائه : « وللمرة الأولى منذ بدأ يسي ، شعر بقوة هذه الإرادة التي تعصف بوجوده في أن يولد من جديد . أنه يريد أن ينسى حداثته وأصحابه ، ويضع فتيات عبرن حياته بغموض ، ليبدأ من أول الطريق أنساناً جديداً ، يستلهم الحياة شخصية جديدة » (ص ٦) .. أي أنه يريد الانخلاع من شخصيته الماضية بما يدفعنا إلى التقرير بأنه كان يعيش حياة مأساوية .. ولكن المؤلف لم يوضح لنا من أي شيء في شرقنا العربي كان بطل الرواية يعاني ، فالتفويض أقصد بداية الرواية لا يقول إن البطل يعيش حلم بداية حياة جديدة ، ولكنه لا يعطينا المبررات الكافية التي تدفعه إلى البحث عن حياة أخرى ، فهو لم يدين حياته الحالية ولم يحبب إلينا الحياة التي يود استلهاها الشخصية الجديدة منها .. وهو يضع أمله كله في تلك المدينة التي حلم بها ، لكنها المنفذ له من حياة الزكوة التي يدعي أنه عاشها ! ولكن بعد قليل يتضح الحلم الذي حلم به وهو المرأة المتاحة بسهولة دون مسئوليات ، يقول : « ما قليل ، سيكون في الحي اللاتيني . سيحقق الحلم المستحيل (ص ١١) وبما هو ذلك الحلم المستحيل .. أعبائه توضحه : « عش بوهيميا . لعلك تدرك فيها بعد السبب العميق لجيتك ، ربما تدرك ذلك إذ تعود إلى بلادك » (ص ١٢) هذا السبب العميق هو المرأة ، يقول : « تبحث عنها .. عن المرأة .. تلك هي الحقيقة التي نتشاهها .. بل نتجاهلها .. لقد أنيت إلى باريس من أجلها » (ص ٢٦) .. هذا هو حلم بطلنا الذي يريد استلهاها الحياة في الغرب حياة جديدة ، نسي أنه ما سافر إلا لطلب العلم .. ليحصل على الدكتوراه ومن ثم يصبح قائداً في بلاده .. أن أزمته كانت كازمة بطل « الساخن والبارد » الذي ما أن وطئت أقدامه أرض السويد حتى

انطلق يبحث عن النساء ولكنه لقن درساً لن ينساه .. لم يتح له من النساء سوى امرأة تكاد توصم بأنها ساقطة وبطل « أديب » الذي ضاع بين أحضان الخانات ، وبطل « موسم الهجرة إلى الشمال » الذي تهدم تحت أقدام المآثرات الإنجليزية ، أما إسماعيل بطل « قنديل أم هاشم » فلقد تلبذ على يدي زميلته « ماري » الجامعية وأضع تحتها خطين لأن إبطال الروايات السالفة لم يتح لهم الولوج في المجتمع الأوروبي الفوقي لانه من الصعوبة بمكان السباح لأجنبي مختلف الولوج فيه .. كان لقاء هؤلاء بادران الحضارة الأوروبية .. وهكذا يسافر صاحبنا بطل « الحي اللاتيني » وفي رأسه حلم المرأة البيضاء المتاحة بمجرد النظرة .. يقول : « أسبوع طويل ينتقي ، منذ قدمت إلى باريس لم تلق فيه إلا الأختاق إزاء المرأة ، أية امرأة أسبوع طويل ينتقي ، وفي جسدك نار تلهب ، وفي مخيلتك ألف صورة وصورة لنساء عاريات ، متددات على السرر ، يلسمن فمك وجسك بألف لسان من نار . لا ، لا تحاول أن تحتج أو تنكر . أجل شرقتك ذلك ، لم يفرك بالهرب منه سوى خيال المرأة الغربية ، سوى اختفاء المرأة الشرقية في حياتك ، إلا أن تطل في بسمة لا تزيد الحرمان إلا حرماناً ، أو أن تتسرع بوجودها بلبسة نائية ، خائفة ، بعيدة تملأ ذاك بائنة عقدة ، وتبيت فمك تنكك بروجولك ، أو أن تسمى أنت البها حيث تتسرع بالفتوة الروحية مع امرأة لا تعطيك إلا جسداً فيه برودة الثلج ، وطوراً بالاشمئزاز والغليظ يتنافس في خلقتها عشرة أسباب على الأقل .. هكذا عرفت المرأة في شرقك ، فعرفت الخسوف والحرمان والكبت والشذوذ والإنطواء والخيال المريض » (ص ٢٨-٢٩) هكذا يتضح لنا أن بطل « الحي اللاتيني » ما سافر إلا للبحث عن امرأة متاحة وحرمان في المرأة في الشرق .. وهو هنا يتحدث حديثاً عاماً يسم فيه المرأة الشرقية بأنها مجرد جسد بارد لاروح فيه ولكن هل كانت المرأة الشرقية (الغربية) مسئولة عن ذلك الوضع المهين الذي خلقت فيه ؟ أن المجتمع العربي حتى الآن لا يزال مجتمعاً مذكراً يسوده الرجل ، وأين هي التجربة التي تجعل بطلنا هكذا ناقماً ؟ ، ليس هو من ضمن أساسيات مجتمع الذكورة هذا ؟ . وهو عندما التقى بالمرأة في الغرب ، هل استطاع أن يتعامل معها روحياً ؟ كان جل همه إشباع نهج الجنسي ، وعندما ترتب على هذا الإشباع مسئوليات هرب كأي رجل جبان في الشرق ! . والمرأة في الغرب لم تكن في خياله سوى « نساء عاريات متددات على السرر » .. وهو يصرخ بعد ذلك : « أين المرأة ، أين رانحتها المحمية » (ص ٢٩) تماماً كصرخة مصطفى سعيد في « موسم الهجرة إلى الشمال » : « سافرو أوروبا ب ... ي » وفاته أن

الغرب .. الجنس هو الهدف ليس الا !

وعن الصداقة تلك العلاقة النبيلة التي يضرب بنيلها الامثال يقول بطلنا في اعقابه : « اليس كذلك هو شأن الصداقة هناك ، في بلاده ، في الشرق ، في بلاد العرب ! ما قيمة تلك الصداقات بين الفتيان والشبان ؟ ما قيمة تلك الصداقات للفتيات والشابات في الشرق ؟ ان تلك الصداقات لا تقوم حقا على اساس المحبة الخالصة ، وانما تقوم على اساس من الحرمان المتبادل .. الحرمان المنصب حدا فاصلا بين المرأة والرجل ، بين الذكر والانثى . هكذا ينشأ الرباط بين شاب وشباب ، وبين فتاة وفتاة ، يفرغ كل على رفيقه مخذور قلبه من العاطفة المكبوتة ، فيحسب انها الصداقة الخالصة وهي في الحق حب منحرف » (ص ٧٠) .. اي ان بطلنا يحاول القول بان حاجة الرجل والمرأة في الشرق لكسل منهما الآخر والقيود التي تحول بينهما وبين تحقيق التقائهما تجعلهما كل يبيل ناحية جنسه تحت اسم الصداقة ، اي لو ان كلا من الرجل والمرأة التقيا لما كان هناك حاجة الى الصداقة ، والذي نعره عن المجتمع الذي حلم باستلهاه شخصيته الجديدة توجد به الصداقات بين الرجال والرجال وبين النساء والنساء رغم حرية التقاء الرجل والمرأة ! ان ذهنية بطل « الهي اللاتيني » لا يشغلها سوى الجنس وكان ذلك انبعاثا مؤسسا حقا ، ولو ان المؤلف رسم الشخصية بشكل آخر فيها من التوازات ما يؤدي الى ان يكون بطله سويا يحلم احلاما مشروعة ونضالية ايضا ، لتغير مسار الرواية ، ولكنه ، اقصد المؤلف ، قدم لنا الشخصية الحالية بعالم جديد واذا بنا نكتشف ان ذلك العالم هو المرأة الخاتمة في الغرب ! فضلا عن ان الحرمان النسبي يتحدث عنه بطل « الهي اللاتيني » في الشرق لم يمارسه هو ، فلقد كان يعيش في بيروت حياة متفتحة ، يرتص مع ناهدة ويبدو ان أسرته تعيش حياة « مودرن » ولم يكن ينقص تلك العلاقة ، اقصد علاقته مع ناهدة ، سوى ممارسة الجنس !

وعن تبرير انتداع المبعوثين العرب تجاه الجنس الاوروبي يقول المؤلف وانا هنا اتعمد (المؤلف) على لسان احد الشخصيات : « انهم لا يوحون بالنفوس وانت لن تنفر منهم اذا ادركت انهم شبان قلقون ، يبحثون عن انفسهم . اننا جميعا ، نحن الشبان العرب ، ضالمون يفتشون عن ذواتهم بانفسهم ولا بد ان ترتكب كثيرا من الحماقات قبل ان نجد انفسنا » (ص ٨٧) .

وعندما ربط الحب بين قلب « صاحبنا » وقلب « جاتين » وعبر السطور التي اوردها المؤلف عن اشتعال ذلك الحب ، لم نتوقع ان تكون هذه الكلمات مجرد غطاء لنفسه المنطوية على قدر كبير من النذالة ..

الحرية الجنسية في أوروبا هي وليدة حضارة وصلت الى مستوى رخيص من ناحية الاستقلال الفردي وحقوق الانسان ، ولكنها اي الحرية الجنسية لا تمارس الا مع من تحبه الفتاة في الغرب ، فلقد احبته « جاتين » ومنحته نفسها ابلا في الارتباط به ولكنه وعندها احس بان الامور سوف تتجاوز النعمة الجسدية وتنتهي بارتباط ابدي يثر ابناء من صلبه عرب كاي مجرم بعد ارتكاب جريمته .. من هنا نستطيع ان نفسير نيقته في البداية على جذب ايامه من النساء ، ونفسر تصرفاته الشبقية عندما ذهب الى السينما وجلس الى جواره فغاة صغيرة : يقول : « اني لاشعر شعورا غريبا بانني بدأت احب هذه الفتاة التي لم ارها ولا اعلم من امرها شيئا . هذه الفتاة التي رضيت ان تمنحني يداه دون ان تعرفني هي ايضا . اليس هذا دليلا على انها بدأت ، هي كذلك ، تبيل الى قلبي ؟ » (ص ٣٣ - ٣٤) .. فهذا اللقاء ، اقصد اللقاء بالفتاة لقاء غير طبيعي فهو يتم في اطار ظلمة السينما بالرغم من ان المؤلف تعدد ان يذكر اسم الفيلم : « غدا تبدأ الحياة » ، وابطالته من كبار مفكري فرنسا وادبائها ، وهذا امر يفتاقض مع ما يعتقد بطلنا (الاديب) وهو امر يؤكد مرشده بالشيزوفرانيا التي يعاني منها كل المفكرين الشرقيين والمواطنين الذين يعيشون بأسلوب الغرب ويفكرون بأسلوب الشرق أو العكس !

وعندما لم تحضر فتاة السينما حسب الموعود المتفق عليه يصطاد احدى فتيات الليل ، وهو بذلك يؤكد ان مغابرتة لا تعدو ان تكون محاولة للإبحار في عالم الجنس الغربي ، ذلك العالم الذي حلم به وهو في الشرق المغلق ، لكان الجنس دليل الانفتاح .. وما هي ذي اول تجربة له .. لقد كانت مع فتاة ليل اي عاهرة ، وهو شيء متاح لكل من يدفع الثمن سواء في الشرق او الغرب ! .. ويبدو ان الرواية ليس فيها سوى الحكمي عن جوع بطلنا الجنسي .. ولا شيء عن الحضارة التي سافر بسببها بطلنا الى باريس لانه ومنذ الصفحات الاولى وحتى النهاية لا يوجد بها ما يحيطنا بلقاء بطلنا لقاء حضاريا مع الحضارة الغربية .. وحتى عندما خيل الى بطلنا انه وجد واحدة يمكن ان تحدث فكره وتشبع نهمه الى الجنس ، اتضح انها لصة .. يقول له صديقه سامي : « لا تكن ساذجا . حتى الشعر ، له معنى آخر في باريس هذه ، اذا اتفق للمرأة هنا ان تكون شاعرة ، فهي لا تنسى انها امرأة قبل كل شيء . في اللقاء الاول تشدشد بضعة ابيات من شعرها ، تتكلم الشعر . وفي اللقاء الثاني تتكلم النثر . وفي اللقاء الثالث لا تتكلم ابدا .. هذا اذا عرفت انت ان تستعمل شفتيك لغير الكلام ! » (ص ٥٠) اي ان الفكر والحضارة لم يكونا هدفا للمسافرين الى بلاد

مبادئها ، مزقة ، غير سوية ، تحلم ولا تحلم ، تود التحليق الى آفاق النجوم ولكن الوحل يقيدتها بالأرض ، مما أفتقدها منطقيتها الروائية ، وطبعاً هذه مسئولية الكاتب . « جاتين » كانت الوحيدة المتوازنة والمنطقية في تصريفاتها ، وكان تاريخها معروفاً لدينا منذ البداية .

وبعد .. لقد كانت تلك الرواية — لو أهتم سهيل ادريس بقضية الحضارة — فرصة لا تعوض لمناقشة ذلك اللقاء المثير بين الشرق والغرب ، ولكنه وبحكم تأكده من نشرها فور الانتهاء منها أغفل الكثير من ناحية الفن ، وأهمل الكثير من ناحية الموضوع .

محمود حنفي كساب

حجة — البين



تصدر في مطبع كل شهر

يساهم في تحريرها

أدباء العربيين

من المحيط الى الخليج

تعمل ابيكم الأبناء الثقافية والأدبية

فالعالم العربي

فهو قد حلم بأمرأة متاحة جسدياً وفكرياً وروحياً ، وعندما وجدها وصفاً بأنها عاهرة .. يقول في مناجاتها : « يا جاتين ، أيتها الحبيبة المنشودة ، أية سعادة هذه التي يؤديها لنفسي الظمأى حضورك وغيبك جميعاً ! انك أنت أنت الصورة التي تبحث عنها روحي منذ زمن بعيد ، فتنظر ثائفة ضائعة بين ركاب من الصور الباهظة الحائلة . لم تراك يا « جاتين » ظلت غائبة عن وجودي هذه الاعوام الطويلة ؟ وهل ستلاين ، بعد الآن ، هذا الوجود الفارغ الذي يبحث أبداً عن معنى ذاته ؟ » (ص ١١٥) .

وأصبحت « جاتين » كل أيامه في باريس ... « وكان الليل ملكيتها الأثيرة ، يركن الى ليتلذاذ فيه بالدفع والظلام والحب . هذا الحب الذي لم يعرف منه إلا أحد شطريه : غاما التشوة الروحية وجدها ، وإما اللذة الجسدية وحدها ، بل هو لم يعرف أي الشطرين إلا في أسوأ أشكاله : إما كبت وانغلاق وتآكل ، وإما انانية وحيوانية وانحطاط ، ولم يكن يتصور أن يوسع انسان أن يدرك الى جانب انشئ ، اللذتين كليتهما ، كما أدركها هو الى جانب « جاتين » (ص ١٥١) .

وعلى العكس عندما عاد الى وطنه في اجازة وقابل ناهدة .. « ولم تكن هذه ظاهرة جديدة تتكشف له انه يعرفها منذ حين . منذ غادر وطنه الى باريس ، ولكنها الآن تبدو له في ذروة تكشفها وغلبة انجسارها . وقد ظل برهة طويلة ينظر الى ناهدة ، فلا يراها هي ، وانما يرى الآثام والآثام من هاتيك العزيبات المنتثرات في أرجاء الوطن الكبير ، يقيم الحذر بينهن وبين الرجل حواجز صفيقة يستحيل معها كل تعاون مثير وكسل مشاركة مجدية » (ص ٢١٣) .

ورغم أن بطلنا يدين ناهدة ويهجد « جاتين » إلا انه في النهاية يعود الى وطنه « ناهدة » ويتسبب في أن تصبح « جاتين » عاهرة .. لقد تغلبت عليه انانيته الشرقية الغبية ولم يقبل أن يتحمل مسئولية ممارسته للجنس معها بحرية .. وهذه هي أزمة الرجل في الشرق يتحدث كثيراً عن الحرية ولكنه لا يقبل أن تمارسها النساء اللاتي ينتمين اليه .. ما تزال القبيلة والعشيرة في التفكير هي السائدة .

والشخصيات الرئيسية في الرواية لا تعتمد على أصابع اليد الواحدة ، والمؤثرة في مسار الأحداث ثلاث هي صاحبنا و « جاتين » وفؤاد صديقه المناضل الذي يعد نفسه للقيادة في بلاده ، واقتصر دوره رغم أهميته التي اغفلها المؤلف على مجرد السند لصاحبنا ، وكان يمكن للمؤلف أحداث تتفاعل هام بينها يؤدي الى نتائج أخرى غير ما انتهت اليه الرواية .. ولعل القارئ يلاحظ أن بطل « الحي اللاتيني » شخصية متوهنة لا

عن القصة في الكويت



اسماعيل
فهد
اسماعيل

٣

ARCHIVE

عن القصة فقد صدرت له مجموعة بعنوان « احلام الشباب » (١) ، ولعلها — من حيث الزمن — اول مجموعة قصصية كويتية صادفها حظ الطبع .

يستطيع القارئ المتابع لقصص فاضل خلف ان يلمس مدى اهتمام الآخر — في اكثر قصصه — بمناقشة العلاقات الاسرية ضمن نطاق العائلة .

ضمن هذا التحديد يصتح بالامكان التوصل الى معرفة العقدة الرئيسية التي تدور حولها احداث القصص .

هذه العقدة هي : المرأة الكويتية بشتى صورها .
بدا من الام ، ومرورا بـ « الاخت .. الزوجة .. الصديقة ... الابنة » وانتهاء بالحببية .

تبدو هذه الصور المتنوعة والمتداخلة في الوقت نفسه في : حنان ام — سر المطلقة — التوبة — السهم الاخر — نزوة — عاصفة في قلب — ام جاسم وكنتها .

● حنان ام (٢) .

وتقع الاختيار على هذه القصة لاسباب :

● ابرازها المرأة الكويتية ، وهي تتلبس الدورين الاكثر اهمية : الزوجة من جهة ، ثم الام ، ربة المنزل ،

في القسم السابق من هذه الدراسة تم استعراض قصة « الزكاة » لفهد الدويري ، مع محاولة الكشف عن طبيعة العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الفترة ، من خلال ما طرحته القصة ذاتها ، الى جانب البحث في جوانبها الفنية ، ومدى ما توفر لها من صدق في تصوير الواقع ، وتجسيد متغيراته .

هذا القسم سيخصص لاستعراض قصصة « حنان ام » لفاضل خلف ، مع الطوبح للبحث في ما كان للمرأة الكويتية من دور في « البيت . المجتمع » عن طريق ما تطرحه القصة من علاقات ، سواء ما بين شخصها بعضهم البعض ، او عبر تعاملهم مع الواقع .

لفاضل خلف — كما هو شأن غالبية رواد الحركة الادبية في الكويت — نشاطاته الملموسة في الميادين المختلفة للادب ، من قصة ، وقصيدة ، ومقالة .

اصدر في المقالة كتابا جمع فيه مقالات متفرقة « في الايدي والحياة » ضمنها جملة من ارائه ، في المجتمع والن .

وعن الشعر اصدر — في القريب — ديوانا ، اما

كلم زوجها السابق ، ورجاه ان يسمح لولده بزيارة
ابيه ، فلم يجد منه الا الصود .
اسقط في يد لطيفة . وهدها حنائها التلق الى
تصيد لثوية ولدها ، فلفقت ترائب بيتها
الاول حتى لاح لها ولدها الحبيب وهو يلعب مع مجموعة
من اقرانه ، فاقترمت منه لافعة ، تصد احتوائه بين
ذراعيها :

« ابني عزيز !! ... حبيبي عزيز !! » .

لكن الطفل الذي ربي على كراهية امه واحتقارها ،
يفر من بين ذراعيها متبردا ، ناعنا اياها بـ « لطفو
المملونة » .

قبل البدء بتناول القصة تجدر الإشارة الى ان :
أوائل الخمسينات ان لم يكن أواخر الأربعينات هو
الزمن الذي كتب فيه القصة .

اي في الوقت الذي بدأت فيه مجاميع غفيرة من
الكويتيين تنصرف عن حياة البحر لكي تنظم ضمن
صفوف العمال المشتغلين لدى الشركات الاجنبية
العاملة باستخراج البترول من ارض البلد .
بيد ان تغير وسائل الانتاج لا يعني التغير
الصريح للعلاقات التي درج عليها المجتمع الكويتي
منذ نشأته .

فمثل هذا التغير يحتاج ردحا غير قصير من الزمن
ربما يتدرج في الاستيعاب والتطور .

لهذا السبب بقيت الغلبة في الساحة الكويتية
للعلاقات القديمة على الرغم من تخلفها ، نسبة الى
جدة أساليب الانتاج .

في « حنان ام » — مثليا كان الامر في الواقع ..
وهنا يكمن الصدق الذي طرحته القصة — تتسلل ام
الزواج هي المسيطرة من البداية الى النهاية .
فهي لا تنكح باستقلال زوجة ابنها في اداء اعمال
المنزل لحسب ...

« — اسمعي ... عليك ان تنهي غسل هذه
الصحن والقدر ، ثم اعداد طعام العشاء ، ولا تنسي
كنس الفناء . » بل تتعداه الى استعداء ابنها على
زوجته تكريسا للسيطرة ... « ولا يكاد يستريح » من
عناء اليوم حتى تبادره امه بشكاواها المختلفة ،
وادعائها الفاتلة ضدها ، « وكذا امر الاشراف على
تربية الحفيد بالشكل الذي يميز قوتها اكثر .. » اما
ابني فقد ربوه — والمعني هنا الصاية لان الزوج لا يكاد
يتواجد في المنزل الا ساعات محدودة يقضيها في النوم —
كما يشاؤون حتى شب على بغضي وعداوتي « علوة
على ما لظك امه من سلطان ، تستطيع بواسطته منع
لطيفة من مغادرة البيت لاي سبب كان .. » منعوني
عن الذهاب الى منزل ابي منذ وقت طويل ، وعندنا
ذهبت امس ورجعت ، وجدت امامي المسائب

والمسؤولة عن ادارة الاقتصاد المنزلي من جهة اخرى ،
اضافة الى ما اولته لدور الزوج من غلبة .

- تجسيدها لطبيعة الصراع داخل العائلة الواحدة
عبر العلاقات الاسرية .
- التوفيق الذي صاففته لدى التقاطها ظاهرة تفكك
العلاقة الزوجية .
- اقترابها من الفسوج الفني .

القصة بملخص :

« الفت « لطيفة » المكتسبة من يدها ، ثم جلست
تستريح من عناء العمل الشاق الذي لا ينقطع ليلا
ونهارا ... واخذت تفكر ... »

بمثل هذا المدخل يبدأ المؤلف يروي حكاية «لطيفة»
التي انتقلت من بيت ابيها الى بيت الزوجية منذ ما يقرب
من النصف سنين .

في الماضي — ايام بيت الاب — كانت تتم بحد
ادنى من الحرية والطبائفة ، « لقد كانت مرتاحة كل
الراحة ، تعمل في وقت العمل ، وتستمتع بالراحة في
وقت الراحة » .

في الشهور الاولى لزوجها شعرت بشيء من الذفء
عبر الحب الذي كان يمنحه لها زوجها ، لكن الحال
سرعان ما تغيرت باتسرام تلك الشهور .

صار زوجها « لا يعرف من قدسية الزواج شيئا ،
ولا يعدها الا من سقط الناع » ، يمود من عطفه طمرا ،
يتناول طعامه ، فتبادره امه بشكاواها من لطيفة ، مما
يؤدي الى ان « تنور ثأرته ، ويلعن الايام التي جمعته
واياها (لطيفة) ، وربما سطا عليها باللكم والضرب » .
بعد الغداء يغادر المنزل ليعود في وقت متأخر ،
فيحدها بنظرة غاضبة ، شرراء ، قبل ان يندس في
فراشه الى الصباح .

لم يبق الامر عند هذا الحد ، بل تعداه الى ابنها
عزيز « فقد ربوه كما يشاؤون ، وكما يشاء لهم هوامهم »
حتى شب على بغضها وعداوتها ، كذلك فانهم منعوها
عن الذهاب الى منزل ابيها ، بعدما صيروها آلة صماء
في ايديهم ، تعمل من الصباح ، الى المساء ، والى
منتصف الليل احيانا .

كل هذا ولطيفة صاغرة صابرة ، لكن الامر بلغ
مداه عندما منعوها عن الذهاب الى حفلة زواج اخيها ،
فثارت ثأرتها ، وغادرت البيت متبردة ، لتصلها ورقة
طلاتها حتى بيت ابيها بعد يومين .

الاحساس بالانتعاق ، ثم الحظ السعيد بزواج
ثان اكثر توفيقا ، لكن القلب يظل مشدودا الى البيت
الاول ، متمثلا بالطفل — ابنها — الذي بقي بحضانة
ابييه .

« وعندما لحظ زوجها — الثاني — هذه الظاهرة ،

والويلات ، واخذت — امه — عباتي ، ومزقتها ، ثم رمتها في التنور » .

هذه القوة التي توغرت للام لم تاتها اعتبارا ، لكنها جاءت بسبب من الارث الكبير في العادات والتقاليد ، الذي خلفته القرون الماضية ، ممثلا برافدين كبيرين :

● الاعراف العشائرية .

● طابع الحياة البحرية .

فالاسرة (زوج — زوجة — اطفالها) كوحدة لها بيتها واقتصادها الخاص كانت قليلة الوجود في الوسط الكويتي ، والفاخرة العامة هي : الاولاد يكبرون ، فيتزوجون ، وينجبون ، دون ان يتركوا بيوت الاباء .

زعامة العائلة — في العادة — بيد الاب ، ومن ثم الام ، وما على الاولاد وزوجاتهم ، وكذا الاحفاد سوى الطاعة والرضوخ .

سيطرة الوالدين تلك لا تشمل امور المنزل ، والاستحواذ على الدخل فط ، وانما تتعداه الى كافة الامور المصرية ، ومن ضمنها اختيار شريك الحياة ، « وقد يستشار الابن في ذلك ، لكن الاسرة في الغالب غير ملزمة بالاستجابة الى رايه ، في حين انه ملزم بالخضوع والخضوع لراي الاسرة » (٢) .

بعد وفاة الوالدين تنفك العائلة الكبيرة الى عوائل اصغر ، تعود كل واحدة منها لبيتها . في قصة « حنان ام » يتجسد دور الزعامة في الام ، ما دام الاب متوفى ، يعزز هذا الدور — الذي جاء نتيجة لمرور ثلث عشائرية — ما تركه طابع العمل البحري من بصمات مميزة على المجتمع .

اذا ان الشعوب البحرية القاطنة على سواحل الخليج العربي — ونتيجة لطروف طبيعية .. جغرافية .. مناخية .. قاسية — اتجهت لنفسها — قبل ظهور البترول كمصدر دخل تومي — اقتصادا منزليا يكاد يكون خاصا ، يصل حد البخل والتقتير .

فالشغيلة من بحارة او غواصين كانوا يستدينون من ممول الرحلة (التاجر او النوخدة) مبلغا صغيرا من المال قصد توين بيوتهم طوال اشهر غيابهم ، شريطة ان يعيدوا ما استدانوه بعد عودتهم ، ان صادفهم التوفيق (فكثر ، ما ينتهي موسم الغوص ، ويظل الغواص مدينا ..) (٤) . ولان المبلغ قليل ، واشهر الغياب كثيرة من جهة ، وبسبب من غياب الرجال من البيت من جهة اخرى ، فمثل ذلك التكوين يحتاج لامراة محنكة ، مجربة ، تتولى مهمة الاسراف عليه ، وتنفق منه بالشكل الذي يجنب الباتين في البر مخبة العوز ، ضمن المدة المرسومة له ، دون الوقوع في الاسراف والتبذير . وبطبيعة الحال تتولى الام

(اكبر النساء سنا ومكانة) امر الاسراف على ذلك التكوين .

تلك الهيمنة المباشرة على الاقتصاد المنزلي تعزز من قوة الام — كما سبقت الإشارة — وتزودها بسلطة مطلقة ، تصل احيانا حق طرد زوجة الابن من البيت ، اثناء غياب الاخير في السفر او الغوص .

هذه السلطة ظلت فاعلة اثناء الغياب اليومي لزوج لطيفة عبر عمله في الشركة (اخذت عباتي ... مزقتها ...) او مع وجوده في المنزل (تبادلها بشكاواها ... تنور ثائرتة ... اللكم ... الضرب) حتى نجحت اخيرا باحداث الانفصال (الطلاق) بين الزوجين .

● « لطيفة » — كشخصية محورية للقصة — تقع في الطرف المناقض والمقابل لطسرف الام في الوقت نفسه .

اذ ان التقاليد السائدة — لولا الطلاق الذي وقع بين الاثنين — تقضي بان يدور الزمن دورته ، ويحل اوان « لطيفة » كي تنبسط دور ام زوجها ذاته ، بعدما يكبر ولدها (عزيز) ويتزوج .

لكنها — ومن اجل ان تصل الي ما وصلت اليه حياتها — لا بد لها من ممارسة حياة بنات جنسها ، بابعاد تلك الحياة كافة .

« لطيفة » ... ايام زمان — كما هي حال الاخريات — كانت رهينة المحبين : الجبل والبيت . فالتعليم الذي كان وقفا على عدد محدود من ابناء الموسرين ، حُرمت منه البنات حرمانا يكاد يكون مطلقا . دون ان يستثنى من ذلك بنات الموسرين انفسهم ، عدا حالات نادرة جدا ، تلقت فيها بضع من البنات شيئا من تعليم القرآن ، قبل بلوغهن سن العاشرة ، حيث يتحتم عليهن — بعد ذلك — ملازمة البيت ، وعدم مغادرته الا بالحجاب ، وبمصاحبة القريب الاكبر سنا ، بانتظار تقدم الخاطبين كما يقضي العرف ، الذي لا تتأني لاية فتاة القدرة على الخروج عنه .

وفي الوقت الذي ينتظر فيه الاب — بغارغ الصبر — حلول موعد زواج ابنته ، تخلصا منها كعبء اقتصادي ونفسي من جهة ، وتطمينا لمستقبلها من جهة اخرى ، تخضع تلك الابنة — من جانب امها — لعمليات تدريب متواصلة ، هدفها اعداد الفتاة بالشكل الامثل للقيام بامباء المنزل المنتظر .

في ظل مثل هذه العلاقات ، واثناء ملازمة لطيفة لبيت ابها ، جاء اليها من يطلبها للزواج برجل مس .

ام الشاب المرشح للزواج (تفتار العروس المناسبة لابن ، من وجهة نظرها ، ووجهة نظر الاسرة) (٥) .

وبطيئة الحال ما كانت لطيفة لتعرف من هو ذلك الرجل ، ولا كيف هو « بل قد لا تعلم شيئا عن امر زوجها ، الا غرب موعد القران ، وقد لا ترى عريسها الا ليلة الزفاف » (٦) .

على هذه الشاكلة جرى انتقالها المفاجيء من وسط الفته ، على الرغم من كل ما فيه ، الى محيط آخر جديد ، يفترض بها ان تالله ، وانتقلت ولاية امرها من اهلها ، الى اهل زوجها .

في سكنها الجديد ذاك ، ومنذ ابداها الاولى ، عهدت اليها — بتوجيه من ام زوجها — مهام اعمال منزلية شاقة لا آخر لها ، الى جانب مهام ارضاء رغبات زوجها ، وكذا مهمة انجاب الاولاد اولاً ، وليس البنات . ثم مرت سنوات تسع تعرضت لطيفة خلالها لشتى انواع العنف والاضطهاد ، بدءاً بالمعاملة القاسية ، وانتهاء بالانتشاة النحرقة لابنها ، وحرمانها من ممارسة حقها الطبيعي في لومتها .

ولعله كان بالابكان ان تظل صابرة الى ما لا نهاية لولا تلك الشرارة التي اشعلت النار في التشميم ، ممثلة في منعها عن حضور حفلة زواج اخيها .

« — سترك المنزل ... وسأذهب الى غير رجعة !! » .

هذا التهديد — بسبب من كونه جاء نتيجة لاحتساس بالظلم طال كبته — لم يقصد له ان يوضع موضع التنفيذ ، لكن التصرف الذي بدر عن الزوج (الطلاق) وضع نهاية لكل شيء .

مصاحبة الرجال — سواء في العمل او وقت الفراغ — عادة فرضتها حياة البحر على الزوج .

تلك العادة بقيت متصلة في نفسه بعد تحوله عن حياة البحر الى العمل في شركة النفط .

فهو يغادر بيته صباحاً لاداء عمله ، ثم يعود اليه وقت الغداء ، ليغادره ثانية اما الى العمل او الى المقهى ، وفي المساء هناك « الدبويات » ، حيث يجتمع شمل الرجال للحديث والسرور وقضاء الوقت . البقاء في المنزل (بين النسوة) امر بقي مستهجناً حتى وقت قريب .

بوقته هذا اضافة الى غيابها عن المنزل انسحباً على علاقته بلطيفة ، فكشفا عن جانبها المباشي .

فالزواج — بالنسبة اليه — وجد من اجل ان يحقق اغراضاً ثلاثة بالدرجة الاولى :

● توفر امرأة شابة في البيت ، تتولى القيام باعباء الاعمال المنزلية ، نيابة عن امه التي بدا العمر يتقدم بها .

● اكمال نصف دينه بزواجه ، وابتعاداً عن ممارسة ما تدفعه اليها غرائزه من محرمات وممنوعات .

● تأسيس عائلة ، قصد انجاب الاولاد ، كي يضمن

من يساعده في الكسب ، كسب ، ولأجل ضمان وجود من يرعاها في كبره ، كسب آخر .

الزوجة ضمن هذه الموصفات تمثل لديه :

● جارية (رقيق) تعمل ليل نهار ، لقاء قوت يومها لا غير « — انك لم تخلفي الا للعمل في المنزل ... » .

ولان الزواج لم يات كنتيجة طبيعياً لارادة الطرفين (الزوج ولطيفة) ، وانما جاء برغبة — من والدين ، فكان امسى من جهة الزوجين ، واعتباطيا من جهته (الزواج) كعلاقة انسانية يجب ان تتوفر لها اسباب تنالها وقيمتها ، ينتفي جزء كبير من احترام الزوج للعلاقة ، ويختفي وازعه لاحتوائها وتكريسها . وها هو — بعد فرحته بها في الايام الاولى للزواج كشيء جديد .. لذيد .. يوفر له الكثير من النعمة — يتحول عنها بعدما نال وطره منها . وقد تراوده فكرة استبدالها او الاضافة اليها ، ولا يغيب عن البال ان ظاهرة تعدد الزوجات اخذت بالازدياد منذ ان توفرت لدى الرجال مصادر دخل جديدة . (سواء العمل في الشركة ، او في التجارة ، او العمل الاعمال التي نشطت وتوسعت بعد ظهور البترول) وتجددت تلك الظاهرة — أكثر — في اقتران الكويتيين من غير الكويتيات .

لهذا وذلك تتحول « لطيفة » .. المرأة التي كانت مرغوبة امس ، الى شيء ما يهمل من جانب الزوج ، ولا يبتغي لديها من معززات استمرار وجودها في منزل الزوجية سوى رضا ام زوجها عنها .

وضع لطيفة — المثل — كان امرازاً لعلاقات اجتماعية بمختلفة ، تسانداه علاقات اقتصادية شبيهة . اذن ان المرأة — ولوقت ليس بالبعيد — كانت عضوا عاطلاً ، مشلولاً عن المشاركة في الانتاج خارج المنزل ، ومحجوبة — بل ممنوعة — عن ان يكون لها دخلها الفردي الخاص بها ، كمردود لنشاط اجتماعي ، يتمثل في مشاركتها للرجل في ميادين العمل .

هذه القيمة الدننية لطيفة ، تقابلها من الجانب الآخر قيمة الالم ، وقوتها . فهي — علاوة على ما تناله من حصتها في الموروثات ، من حيث كونها احسدا والوالدين ، ولا ينالها من اولادها غير الاحترام والاكبار والطاعة — تنبثق بالوقت الاقتصادية ... المشار اليها — الى جانب مسؤوليتها عن اختيار زوجة الابن ، وقدرتها على تغيير الزوجة باخرى تناسبها أكثر ، اذا اقتضى الامر .

عبر الجو النفسي للقصة يظل الطفل « عزيز » هو الخيط الرومانسي الدقيق الذي يشد الاجزاء بعضها الى البعض الآخر ، محققاً — في النهاية — تلك الاضاء التي تبقى الاحساس المؤثر للقصة عالقاً في نفس القاريء ، منفعلاً ، ومتفاعلاً معها .

بعد هذه الاضاء تكون القصة قد نجحت في

أداء كل من وتكيفها الاجتماعية ، وهدها الفني ، موجهة إلى ما لفاضل خلف من قدرة على التقاط « هوم الحياة اليومية ، والجوانب المجهدة في تكوين الأسرة على المستوى الشعبي » (٧) . ومشيئة - من الناحية الفنية - إلى أنه « الكاتب » الاقرب إلى الديوري في تناوله الموضوعي ، الهادي ، ونظريته الحليدية ، في حدود الممكن » (٨) .

كذلك فإن موقع الطفل في القصة يكشف عن الجانب السليمي ... المنحرف الذي مرت به مراحل تربيته ، حتى وإن كان ذلك الانحراف - الرامي إلى تكريس علاقات مختلفة - على حساب المعاطف الإنسانية ، الطبيعية ، والضرورية لتكوين شخصية الطفل في الوقت نفسه .

وكان بإمكان القصة أن تكون أكثر شمولية من حيث الفاعلية ، وأكثر قدرة على التأثير . لو توفرت لها فرصة التخلص من بعض النماحي الوصيفية ، التي لا مبرر للاستطراد فيها ، فيها يخص دور لطيفة ، في الحين الذي تعرض فيه دور أم الزوج لشيء من الارتجال السريع . إذ أنه كان بحاجة إلى ثان أكثر ، وتعميق ، لكي يوفق في أداء غرضه كاملاً . في الختام يبقى التسلسل المنطقي للحدث :

العلاقة الزوجية بالنسبة للزوج - كما سبقت الإشارة - غير صميية ، أن لم تكن هاشية ، وعلى العكس تماماً - كما هو مفروض - تتجسد تلك العلاقة لدى لطيفة .

لأن بيت الزوجية بالنسبة للمرأة الكويتية هو المرسى الأخير الذي لا إبحار بعده ، وليس بالإمكان أن تزف الفتاة من بيت أبيها إلى بيت أهل زوجها من أجل أن تعود مطرودة ، أو مطلقاً .

.. ادخلي بالمساء ، واخرجي بالكفن .. » (٩) .

هذا ما قاله فاضل خلف نفسه على لسان إحدى بطلات قصصه وهي تنصح ابنتها المتقبلة على الزواج .

فالطلاق - مهما كان سببه - يمثل من خلال العرف شيئاً اقرب إلى الوشم .. النعت الذي لا فكاً منه . تتحول بعده المرأة المطلقة إلى مواطنة من الدرجة الثانية ، إذ أن الرجال عموماً يفضلون الاقتران بفئة عذراء ، لم تمس من قبلهم .

الإحساس - لدى الرجل - بملكية الزوجية كشيء خاص به ، هو الذي يلعب دوره هنا . ولا جدال في أن الرجل كان يتردد ألف مرة قبل شروعه بالاقتران على الزواج من امرأة طلقت من جانب رجل آخر ، إلا إذا كان الدافع عائلياً ، أو نفعياً .

لهذا السبب تنشب الزوجة ببيت زوجيتها

بأسنانها ، ولا تجرؤ على التفكير بالتفريط فيه ، إلا كانت الظروف والأسباب .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هناك فقدان المعيل الذي يوفر الغذاء والكساء والخوف من خطر الجوع والتشريد في قادم الأيام ، وعلى الإخص بعدد وفاة والديها ، إضافة إلى عامل آخر لا يقل أهمية : حرمانها من أبائها ، ما دام القانون يقف إلى جانب حضانة الأب لولاده .

من أجل أن يصل فاضل خلف بقصته إلى هدفها : « تصوير العلاقات الحادة التي تقوم داخل الأسرة الواحدة ... » (١٠) .

● ما يترتب على تلك العلاقات من آثار .
أوجد لدى « لطيفة » مبرراً لترك منزل الزوجية ، يكاد يكون غير مقنع لو نظر إليه عبر مجمل ما يطرحه الواقع من حدة ونسوة في المواجهة والمصير .

بعد ذلك وفر لها زوجها آخر مناسباً خلال أشهر معدودة ، لكي يصل بالقاريء إلى أن التماسه تسدر محتو ، معلق ، في رغبة المرأة ، على الرغم مما أضافه للظروف المحيطة (ببطلته) من تحسن في النساء في قصصه لا يعبرن الحب ... يستغلن شقاؤهن الخاص عن التفكير فيه » (١١) .

● يتبع ... في العدد القادم

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakul.com

(١) مجموعة قصص تقع في كتاب من القطع المتوسط - منشورات مكتب الكويت للدعاية والنشر - المطبعة المباركية بيروت - مغفل من التاريخ يرجع أنه طبع في أوائل الخمسينات .

(٢) « حنان أم » تقع في الصفحات : من ٧ إلى ١٤ من المصدر السابق .

(٣) صفوت كمال - من عادات وتقاليد الزواج في الكويت - صفحة ١٩ .

(٤) التطور السياسي والاقتصادي للكويت - نجاة عبد القادر الجاسم - صفحة : ٢٥٧

(٥) صفوت كمال - من عادات وتقاليد الزواج في الكويت - صفحة : ١٩

(٦) المصدر السابق - صفحة : ٢٤

(٧) الدكتور محمد حسن عبدالله - الحركة الأدبية والفكرية في الكويت - صفحة : ٥٢

(٨) المصدر السابق - صفحة : ٥٢

(٩) فاضل خلف - أحلام الشباب - صفحة : ١٠٤

(١٠) الدكتور محمد حسن عبدالله - الحركة الأدبية والفكرية في الكويت - صفحة : ٥٧

(١١) المصدر السابق - صفحة : ٥٢